المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية

التقرير السنوي حول الهجرة غير النظامية

2021

FTDES

المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية

Livre Migration Fidesandb 10/09/2022 12:49:33

التقرير السنوي حول الهجرة
غير النظامية 2021
(النشرة الأولى، جانفي 2022)

خالد طبابي

© جميع الحقوق محفوظة للمنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية

ساهم في العمل : قسم الهجرة بالمنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية
اسلام غربي
رمضان بن عمر

المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية
FTDES
شارع فرنسا، 1000 تونس / باب البحر
الهاتف: 129 325 71
الموقع الإلكتروني: www.ftdes.net

تصميم:
EDITIONS ALFINIQ
Tél: 31 567 819
www.alfiniq.tn

الفهرس

مقدّمة	**5**
الفصل الأول: المشهد الاقتصادي والاجتماعي للثلاثيين الثاني والثالث من سنة 2021	**13**
الفصل الثاني: شتاء 2021، الحركات الاحتجاجية والولوج إلى الحرية	**17**
الفصل الثالث: الدّيمقراطية التّمثيليّة المشلولة وصعود الشعبوية وتنامي الهجرة غير النظامية	**27**
1) الدّيمقراطية التّمثيليّة: الولادة المشوّهة والنهاية المبكّرة	28
2) حينما تُيّسر أزمة الدّيمقراطيّة التمثيليّة صعود الشعبوية	32
3) عشرية «توالي الأهوال» تغذّي «الخزّان الوطني» للمهاجرين والهجرة غير النظامية	34
4) منعرج الخامس والعشرين من جويلية: سقوط البرلمان وقدوم «رجل على صهوة جواد» وتصاعد الهجرات	37
5) المشهد السياسي بعد 25 جويلية: حينما ترتطم جرعة الأمل بالألم	39
الفصل الرابع: أمننة الهجرة في سياسات الاتحاد الأوروبي	**45**
دوافع أمننة الهجرة غير النظامية	49
أ) في عنصرية السياسة الأوروبية: الهجرة غير النظامية تهدّد الأمن المجتمعي الأوروبي	49

Livre Migration Ftdes.indb 3
10/03/2022 12:50:43

ب) الاغتراب الديموغرافي وفقدان الهوية الوطنية في المجتمعات الأوروبية	50
ت) المشكلات السوسيو-اقتصادية	52
ث) دور الإعلام في أمننة الهجرة	52
ج) المشاكل الصحيّة والبيئية	55
ح) تأكيد نظرية صدام الحضارات والإسلاموفوبيا وأمننة الهجرة	56
خ) صعود التيارات اليمينية والشعبوية وأمننة الهجرة	57
الفصل الخامس: إجراءات وسياسات الاتحاد الأوروبي لأمننة الهجرة غير النظامية في المنطقة المتوسطية وتونس	**59**
1) في استمرارية الأمننة: التكتل والضغط الأوروبي على تونس سنة 2021	61
2) ما بعد 25 جويلية 2021: «من سيفرمل ظاهرة الهجرة غير النظامية؟»	63
الفصل السادس: تونس بلد العبور	**71**
خاتمة	**75**

Livre Migration Ftdes.indb 4 10/03/2022 12:50:44

مقدّمة

إنّ مانيفستو الانتحار أو «القشّة التي قصّمت ظهر البعير» والسكين التي مزّقت نقاب دولة الاستبداد، أي منذ أن أطاح البائع المتجوّل بصانع التحوّل لم يتغيّر حال البلاد والعباد، بل عاشت الدولة على وقْع عشرية اتّسمت بالعجاف الاقتصادي والاجتماعي والاضطراب السياسي. فسياقات العشرية فيها العديد من المتشابهات بسياقات الإيالة التونسية خلال القرن التاسع عشر والتي نعتها المؤرخون بقرن «توالي الأهوال[1]» أو «القرن العصيب[2]»، أو «إيالة ضعيفة حسّا ومعنى»، وهكذا فإنّ «التاريخ ليس ما مضى بل ما بقي فينا بعد كلّ ما مضى[3]».

1 – التيمومي، (الهادي)، «**انتفاضات الفلاّحين في تاريخ تونس المعاصر. مثال1906**»، بيت الحكمة قرطاج، تونس، 1993.

2 – الشريف، (محمد الهادي)، «**تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**»، تعريب: محمد الشاوش- محمد عجينة، دار سيراس للنشر، الطبعة الثالثة، تونس، 1993.

3 – المنصر، (عدنان)، «**سنوات الرمل. تفكّر في معارك الانتقال الديمقراطي في تونس -2011 2014**»، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 2021، ص 21.

Livre Migration Ftdes.indb 5 10/03/2022 12:50:45

ومـن بيـن المتشـابهات نذكـر مثـالا لا حصـرا: «قانـون عهد الأمـان» 1857 يقابلـه اتّفـاق الشـراكة التّونسـيّة الأوروبيـة 1995 الـذي يتـمّ الإعـداد لتحويلـه إلـى اتّفـاق التبـادل الشـامل والمعمّق ALECA. وانتفاضـة الهامـش علـى المركـز سـنة 1864 تقابلهـا انتفاضـة الهامـش علـى المركز سـنة 2011. والتّشـابه بيـن واقع دولـة المجبى للنّصف الثّاني من القرن التاسـع عشـر التي يسـتفيد منهـا التّجـار والمرابـون والمضاربون وكبـار الملاّكيـن العقاريّين ويكتـوي بسـعيرها الفقـراء وصغـار الفلاحيـن. وواقـع الضغـط الجبائـي الذي تمارسـه الدولة على المواطنين منذ 2011، ويسـتفيد منـه المهربـون وأباطـرة الاقتصـاد الموازي وكبـار المسـتثمرين والملاّكيـن ووكلاء الشـركات التجاريـة الكبـرى والمضاربيـن العقاريّيـن ويكتـوي بسـعيرها العمّـال والموظّفون وبقايـا الطبقة الوسـطى. التشـابه بيـن فسـاد السّاسـة خـلال النصـف الثاني من القرن التاسـع عشـر وساسـة الفسـاد بعـد سـنة 2011. التشـابه فـي واقـع التّخلّـف والتّقهقـر الاجتماعـي وانهيـار أغلـب الفئـات والشـرائح الاجتماعية نتيجة سياسـة التّفقير والتّكديح.[4]» والتشـابه فـي انتشـار الأمـراض والأوبئة آنـذاك وانتشـار كوفيـد 19 منذ عام 2020 فـي سـياق تقهقـر الصحّـة العموميـة. وتصاعـد المجاعـة خـلال القرن التاسـع عشـر يقابله تكـرّر انقطاع مياه الشـرب الأمر الـذّي سـاهم فـي تنامـي حـركات الاحتجـاج التّـي تطالـب بالحق فـي الميـاه بعـد سـنة 2011. «التشـابه فـي انقسـام النخـب بين المحافظيـن والتحديثيّين بعـد 1864 وبين الحداثيّيـن والمحافظين الجـدد بعـد 2011. التشـابه فيمـا يتعلّـق بإفـلاس الدولـة وبلوغ المديونيـة أقصاهـا نتيجـة الفسـاد والنّهـب واللّصوصيـة بعـد الانتفاضتيـن الشـعبيتين الأولـى سـنة 1864 والثانية سـنة 2011، وتدخّـل المصـارف الأجنبيـة (روتشـيلد فـي القـرن 19 وصنـدوق

4 – قسّـومي، (المولـدي)، «**قواعـد لغـة علـم الاجتمـاع فـي مدوّنـة المـؤرخ الهادي التيمومـي**»، تقديـم: فتحـي ليسـير، دار نقـوش عربيـة، 2019، ص 35، 36.

Livre Migration Ftdes.indb 6 10/03/2022 12:50:46

النقـد الدولـي بعـد 2011) وسـيطرة الكومسـيون المالـي علـى ميزانيـة الدولة التّونسـيّة فـي 06 جويلية 1869 الـذي يقابله تدخّل المؤسسـات الماليـة العالميـة وعلى رأسـها صنـدوق النقـد الدولي فـي سياسـة التّشـغيل، والسياسـة الماليـة والجبائية إلـخ بعد عام 2011. وضعـف السـيّادة الوطنية وتحـول البلاد إلى فضـاء لتدخّل كلّ القـوى الأجنبيـة والاقليميـة وتحـول البـلاد إلـى مزرعـة يمرح فيهـا قناصل الـدول الكبـرى دون قيود.[5]»

◆ أوروبا وتونس في وضعيّة «أليكا» ◆

وفـي تلـك السـياقات المأزومـة، لـم تكن فقـط حـركات التمرد والعصيـان مثـل ربيـع العُربـان 1864[6] أو الهجـوم علـى دراهـم الدولـة والاسـتيلاء على أموال سـيدنا فـي مارس 1871[7] هي الشـكل الاحتجاجـي الوحيـد، بـل مثّلـت أيضـا حركة الهجـرة لأفـراد أقصى

5 – المرجع السابق، ص 36، 37.

6 – البشـروش، (توفيـق)، ربيـعُ العُرْبـان: أضواء عن أسـباب ثـورة علي بن غذاهم سـنة 1864: وثائـق مـن الأرشـيف الوطنـي التونسـي، قرطـاج، بيـت الحكمـة 1991.

7 – الجـوادي، (عبـد المجيـد)، «المحلـة والهمامـة. الفكـر الإصلاحي على محك ممارسـة السـلطة»، تقديـم: مصطفـى التليلـي، دار سـحر للنشـر، تونـس، 2018.

Livre Migration Ftdes.indb 7 10/03/2022 12:50:47

الجنـوب أحـد أهـم الحلـول المتيسـرة والممكنـة التي يقـع الالتجاء إليهـا فـي الأوقـات التي تشـح فيهـا الطبيعـة أو يتزامن شـحّها مع ضـرورة دفـع الضرائـب فـكان التنقـل والهجـرة يعتمـدان أيضـا كوسـيلة للتعبير عـن الرفـض وإعلانا للتمـرّد على السـلطة.[8] وهكذا فـإنّ تدفقـات الهجرة غيـر النظامية اليوم تنبع أساسـا من سـياقات اتسـمت بالتفقير والفسـاد، ليصبح قارب الموت ملجـأ الفقراء وحتّى المرفهيـن اجتماعيـا إلـى حـدّ مـا حالميـن بغـد أفضـل مـن ناحية ومعبريـن عـن رفضهـم للنخـب الحاكمة مـن ناحيـة أخرى.

بنـاء على هذه التشـابهات يمكننا نعت عشـرية الثورة (2020-2011) بـ «**عشـرية توالـي الأهـوال**[9]» بـدءا مـن الإرهـاب إلـى انتشـار الوبـاء. «**عشـرية توالـي الأهوال**» هـي سـردية تراجيدية لآلاف المهاجريـن والمهاجـرات وتصاعـد وتيـرة حـركات الاحتجاج التّـي انتهـت باليـأس والإحبـاط. «**عشـرية توالـي الأهـوال**» هي قصّـة زيـف الديمقراطيـة وضعـف الدولـة التّونسـيّة وتصاعـد المديونيّـة والتدخـلات الأجنبيـة وفسـاد النخبـة السياسـيّة. نصفها بـ «**عشـرية توالـي الأهـوال**» لأنّ ضريبتها كانت الروح البشـرية، إمّـا عن طريـق العمليـات الإرهابية التـي طالت المؤسسـتين الأمنية والعسـكرية والاغتيـالات السياسـيّة، أو فقـدان العديـد مـن الأرواح البشـرية فـي البحر الأبيـض المتوسـط، أو فقـدان أرواح الناس في سـياق انتشـار الوباء.

8 – التايـب، (عائشـة)، «**المجموعات القبلية بأقصى الجنوب التونسـي وهجرة العمل المؤقتـة**»، أعمـال النـدوة الدوليـة الثانية عشـرة، حول الجنوب التونسـي مـن الاحتلال إلى الاسـتقلال 1881-1956، المنعقـدة بتونس أيام 6 و7 و8 ماي 2004، نسّـق أعمال النـدوة وجمـع النصـوص وأعدهـا للنشـر: فيصل الشـريف، جامعـة منوبة، منشـورات المعهـد الأعلـى لتاريـخ الحركـة الوطنيـة، سلسـلة: تاريـخ الحركـة الوطنية، عـدد 12، تونـس 2005، ص 93، 112، ص 99.

9 – اسـتعرنا هـذا الوصف مـن المؤرخ التونسـي الهـادي التيمومي في كتابـه «انتفاضات الفلاّحيـن...» سـبق ذكره.

Livre Migration Ftdes.indb 8 10/03/2022 12:50:49

لئـن كان الجنـرال والمـؤرخ الحربـي الألمانـي **كارل فـون كلاوزفيتـز Clausewitzienne** قـد أكـدّ علـى أنّ «الأزمـات مهمـا كانت أسـبابها فهـي تتطـور وفقـا لديناميكيتهـا الخاصّـة.[10]» فإنّ أسـباب أزمـة الدولـة التونسـية تعـود إلـى ديناميكيتيـن اثنتيـن، **الأولـى** العجـز البنيوي والتاريخـي للنخـب والبرجوازية التونسـيّة، فهـي لا تسـتطيع الانتقـال إلـى نمـط رأسـمالي مسـتقل، فانتقالها مـن البرجوازيّـة التقليديّـة إلـى البرجوازيـة الصغيرة، لم يجـدد إلاّ مأزقهـا التاريخـي، لأنّ هـذا التجـدد لـم يكـن إلا اسـتبدالا طبقيّا في نمـط الإنتاج الكولونيالـي نفسـه الـذي يحكـم حركة البرجوازيـات العربيـة.[11] **والثانيـة** هي سياسـات التبعيّـة التّي تعتمدهـا البلدان الرأسـمالية، فبرنامـج الإصـلاح الهيكلي والتبـادل الحـرّ مـع الإتحـاد الأوروبـي هـو «**تبـادل غيـر متكافـئ**»، فالنظـام الرأسـمالي العالمـي وفقـا **لأندريـه غنـدر فرانـك** هو «نظـام يقـوم علـى «**التبـادل الاحتـكاري**» الـذي يؤمّـن نقـل الفائـض الاقتصـادي مـن المناطـق الخاضعـة (الأفـلاك) إلى المراكـز الامبرياليـة (المتروبـول). وهـذا النظـام هـو الـذي يتحكّم فـي توزيع السـلطة السياسـية وفي أشـكال تنظيـم الإنتـاج والبنى الطبقيـة للمناطـق المختلفـة. وبنـاء عليه، فـإنّ الآليـات التي تطلق التطـور فـي المتروبـول هـي نفسـها الآليات التـي تسـبب التخلّف فـي الأفلاك.[12]» فالديناميكيتان شـديدتا الارتبـاط ببعضهما البعض،

> **«عشرية توالي الأهوال» هي سردية تراجيدية لآلاف المهاجرين والمهاجرات وتصاعد وتيرة حركات الاحتجاج التّي انتهت باليأس والإحباط**

10 - Mathieu, (Lilian), Structure, dispositions, calculs, situations… La mise en cohérence de sociologie des crises politiques, In Myriam Ait-Aoudia et al, La logique de désordre, Presses de sciences, Académique, 2015. Pages 37 à 52. P 50.

11 – عامل، (مهدي)، «مناقشـات وأحاديث في قضايا حركة التحـرر الوطني وتميّز المفاهيم الماركسـيّة عربيّا»، دار الفارابي، بيـروت، لبنان، 1990، ص 14.

12 – الخفاجي، (عصام)، « **سـمير أمين: في نقد حلم انكسـر**»، عمران للعلوم الاجتماعية،

Livre Migration Ftdes.indb 9 10/03/2022 12:50:49

ذلـك أنّ تقـدم المركـز يحتّـم تخلـف المحيـط، وتخلّـف المحيـط ضـرورة لتقـدم المركـز.[13] وهـذان السـياقان يؤسسـان بالضرورة إلـى حالتيـن إثنتيـن لا ثالثـة لهمـا: إمـا النمـو دون التنميـة أو ما يُعبّـر عنه بتنميـة التخلّـف، والحالة الثانيـة هي التنميـة دون النمو مـن خـلال وجـود منـوال تنمـوي تابـع لمـا تفرضـه المؤسسـات الماليـة العالمية.

بمـا أنّ ملامـح المهاجريـن لـم تتغيّـر وطـرق العبـور ظلّـت نفسـها تقريبـا، حيـث بقـي المتوسـط هـو المهيمـن فـي معابـر الرحلـة الهجريـة، وبمـا أنّ العوامـل الاقتصاديـة والاجتماعية ظلّت فـي طليعـة عوامـل الطرد، فـإنّ هـذا التقريـر لـن يُغفـل العوامل الأخيـرة والحـركات الاحتجاجية لكنّه سـيُركز أساسـا علـى العوامل السياسـية الداخليـة والخارجيـة، **الأولـى** والمتمثّلـة فـي أزمـة الديمقراطيـة التمثيليّـة وصعـود الشـعبوية، هـذا المنـاخ الـذي عـزّز مشـاعر اليـأس والإحبـاط، وكان القادح فـي إنتـاج «**الخزّان الوطنـي**» للهجـرة والمهاجريـن، و**الثانيـة** نعنـي بها السياسـات الهجريـة الأوروبية وركزنا أساسـا علـى مفهوم «**أمننـة الهجرة**»، هـذا البراديغـم الذي تعتمـد عليه الـدول الأوروبية والـذي كان أيضا أحـد أهـم العوامل في تنامـي موجات الهجـرة غيـر النظامية. ولكن تتوجب الإشـارة قولا أنّ العشـرية ليسـت سـوى اسـتمرارية لفساد النخبـة السياسـية التـي حكمـت قبـل سـنة 2011 ولكـنّ أسـاليب الفسـاد اتّضحـت أكثـر بعد الثـورة نظرا إلـى تواجـد الحريات رغم محدوديتهـا وتهديدهـا أحيانا، وأنّ 25 جويلية ليـس بالحدث القادح لتدفـق موجـات الهجرة، بـل إنّ الهجرات مـا بعد هـذا التاريخ تبيّن حالات الإحبـاط التي. أصابـت تقريبا كلّ الفئـات والطبقات بصفات متفاوتـة طيلـة عشـرية توالي الأهـوال ومـا قبلها.

العدد 27، المجلّد السـابع، شتاء 2019. ص 5-24. ص 12.

13 - المرجع السابق، ص13.

Livre Migration Ftdes.indb 10 10/03/2022 12:50:50

بعد هذا التقديم تحاول ورقتنا الإجابة عن إشكالية مركزية مفادها: إلى أي مدى يُمكن اعتبار أنّ الأزمة الاقتصادية والاجتماعية وانتهاك الحقوق والحريات في احتجاجات شتاء 2021، والتي تتزامن مع انتشار الوباء وفقدان العديد من أرواح النّاس في سياق أزمة الديمقراطية النيابيّة وصعود الشعبوية والتوجه المتزايد نحو أمننة الهجرة من قبل الإتحاد الأوروبي، كلّها عوامل سرّعت في تنامي الأدفاق المختلطة للموجات الهجرية غير النظامية في تونس؟ ■

Livre Migration Ftdes.indb 11 10/03/2022 12:50:51

الفصل الأول

المشهد الاقتصادي والاجتماعي للثلاثيين الثاني والثالث من سنة 2021

Livre Migration Ftdes.indb 13 10/03/2022 12:50:53

مهما اختلفت وتعددت القراءات والأسباب حول ظاهرة الهجرة غير النظامية، فإنّ العوامل الاقتصادية والاجتماعية تظلّ في طليعة عوامل الطرد، لذلك يكون مفيدا معرفيا ومنهجيا أن نقدّم قراءة مختصرة ومكثفة للمشهد الاقتصادي العام لسنة 2021 وفقا لتقرير المعهد الوطني للإحصاء والمعنون بـ «مؤشرات التشغيل والبطالة للثلاثي الثالث لسنة 2021»، والصادر في نوفمبر 2021. ومن أبرز ما جاء في التقرير:

تواصل انخفاض عدد المشتغلين مسجلا تراجعا ب 28 ألف مشتغل خلال الثلاثي الثالث لعام 2021 مقارنة بالثلاثي الثاني من نفس السنة. وارتفاع نسبة البطالة ب 0.5 نقطة مقارنة بالثلاثي الثاني من سنة 2021 لتبلغ 18.4%، وفي سياق البطالة ووفقا لتقرير المعهد فإنّ نسبة بطالة الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و24 سنة ارتفعت خلال الثلاثي الثالث من سنة 2021 لتبلغ 42.4% مقابل 41.7% خلال الثلاثي الثاني من نفس السنة. وتقدّر هذه النسبة بـ 42.8% لدى الذكور و41.7% لدى الإناث. كما سجّل التقرير انخفاض نسبة النشاط إلى حدود 46.5% خلال الثلاثي الثالث لسنة 2021، فقد بلغ عدد السكان النشيطين في تونس، من خلال المسح الوطني حول التشغيل الخاص بالثلاثي الثالث لسنة 2021، 4141،6 ألفا، مقابل 4153،3 ألفا خلال الثلاثي الثاني، أي بانخفاض قدّر ب11،7 ألفا. وبالتالي انخفضت نسبة النشاط ب 0،5 نقطة لتبلغ 46،5% خلال الثلاثي الثالث لعام 2021 بعد أن كانت في حدود 47،0% خلال الثلاثي الثاني.

تواصل انخفاض عدد المشتغلين مسجلا تراجعا ب 28 ألف مشتغل خلال الثلاثي الثالث لعام 2021 مقارنة بالثلاثي الثاني من نفس السنة.

Livre Migration Ftdes.indb 14 10/03/2022 12:50:55

كما حافظت المناطق الغربية للبلاد التونسية والجنوب التونسي على أعلى نسب للبطالة، فقد بلغت 33،0% بالشمال الغربي، و26،3% بالجنوب الغربي، و23،0% بالوسط الغربي، و22،5% بالجنوب الشرقي، وهي معدّلات تتجاوز المعدّل الوطني بين أربع وأربع عشرة نقطة. وبحدّة أقل، يسجّل الشمال الشرقي والوسط الشرقي وتونس الكبرى معدلات بطالة دون المعدّل الوطني لتبلغ على التوالي 10.8%، 13.9%، و16،1%.

مقارنة بالثلاثي الثاني لسنة 2021، شهدت نسبة البطالة ارتفاعا نسبيا في المناطق الغربية للبلاد: الشمال الغربي (+ 3 نقاط) والجنوب الغربي (+ 1،3 نقطة) والوسط الغربي (+ 0،9 نقطة). كما شهدت البطالة انخفاضا طفيفا في الشمال الشرقي (- 1 نقطة) والجنوب الشرقي (- 0،9 نقطة).

وتأتي هذه الأرقام الدالة على وجود أزمة في البلاد في سياق ارتفاع عدد الإصابات والوفيات بالوباء، وعجز المنظومة الصحيّة العمومية في توفير الحدّ الأدنى لمقاومة الوباء خاصّة خلال فترة ما قبل 25 جويلية سنة 2021، وشلل القطاع السياحي، وأزمة القطاع الفلاحي والصيد البحري وتنامي الفساد وصعود وتيرة حركات الاحتجاج، وكلّها عوامل تُشكّل فكرة المشروع الهجري في ذهنية أناس ضاق بهم الحال وانعدمت أمامهم الآفاق ■

Livre Migration Ftdes.indb 15 10/03/2022 12:50:56

Livre Migration Ftdes.indb 16 10/03/2022 12:50:57

الفصل الثاني

شتاء 2021:
الحركات الاحتجاجية والولوج إلى الحرية

Livre Migration Ftdes.indb 17 10/03/2022 12:50:58

شهد شتاء 2021 حركات احتجاجية مثل كلّ الأعوام، ولكن هذه المرة اختلفت خارطة الاحتجاج، فالمناطق التي لها موروث احتجاجي والتي اعتادت على الاحتجاج ودق ناقوس الخطر في كلّ سنة تقريبا وخلال فصل الشتاء مثل سيدي بوزيد والقصرين وقفصة، سجّلت حركات احتجاجية ولكنّها لم تكن عنيفة كما حدث في تونس الكبرى. وكأنّ هذه المناطق لا تُصيبها عدوى الاحتجاج، بل هي الناقلة لحركات الرفض والعصيان، أين تنتقل عدوى الاحتجاجات من الهامش نحو المركز وليس العكس مثلما حدث في ربيع العُربان سنة 1864 أو انتفاضة الخبز سنة 1984 أو في شتاء 17 ديسمبر 2010.

في سياق فشل السلطة السياسية في تدبير الأزمة الاقتصادية والاجتماعية، سيظل الخط مفتوحا على التوتر بين الساكنة والدولة، وسيظل الاحتجاج سلوكا ثابتا يُحاول من خلاله المحتجون فرض حقوقهم الاقتصادية والاجتماعية باعتبار أنّ الاقتصاد هو القلب النابض للمجتمعات. كما «يرى المؤرخون أنّ الهجوم على «الباستيل» أثناء الثورة الفرنسية، هو الدخول الفعلي لـ «الشعب» في الحياة السياسية: حيث اتضح بعد ذلك أنّ النزول إلى الشارع هو الشكل الوحيد الذي تجد الجماعة عن طريقه وسيلتها للتعبير عن مطالبها كجماعة موحدة. هذا النزول إلى الفضاء العمومي أصبح في التاريخ المعاصر من أكثر وسائل التعبير مباشرة، ليس لأنّه يظهر للعيان طابع وحدّة هذه الجماعة، وإنما بتأكيده أنّها مصدر كلّ معيار، وكلّ سيادة.[1]» لذلك فإنّ انخراط شباب الأحياء الشعبية في الحركات الاحتجاجية خلال شتاء 2021 واقتحامهم للفضاء العام، ما هي إلاّ تعبيرات عن عدم رضاهم بوضعهم الاقتصادي والاجتماعي، واتخذوا من الممارسة الاحتجاجية طريقة وشكلا للتعبير عن غضبهم من واقع مغرق في الهشاشة والفقر مطالبين

1 – استاتي زين الدين، (الحبيب)، «**الدينامية الاحتجاجية وأزمة الوساطة السياسية والنقابية: الشارع بديل المؤسسات في المغرب**»، مركز دراسات الوحدة العربية، الموقع وتاريخ زيارته: caus.org.lb في 2022/01/01 على الساعة 16:34.

Livre Migration Ftdes.indb 18 10/03/2022 12:50:59

بحقوقهم التي ناضل من أجلها العديد من الشباب والسياسيين والحقوقيين منذ انتفاضة الحوض المنجمي سنة 2008 والمتمثلة في الشغل والحرية والكرامة الوطنية. فالشكل الاحتجاجي في نهاية المطاف هو عادي، ويجب اعتباره كذلك مادامت السلطة السياسية عجزت عن حلّ المسائل الاجتماعية. ولكن سرعان ما لقي احتجاجهم مواجهة بوليسية وسياسية. حيث تنامى عدد الموقوفين الذين تعرضوا للانتهاك والتعذيب من ناحية، وجرّمت النخبة السياسية الحاكمة الحركات الاحتجاجية في الأحياء الشعبية في منابر الوسائل الإعلامية من ناحية أخرى.

نظرا للحجم الكبير من الاعتداءات والانتهاكات التي لا يمكن حصرها، سنكتفي بذكر البعض من التجاوزات التّي قامت بها المؤسسة الأمنية من خلال تقارير الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان. فقد سجّلت الرابطة يوم 18 جانفي 2021، 632 ايقافا بالعاصمة فقط من أبناء حي التضامن والملاسين وفوشانة والسيجومي وطبربة، أما يوم 20 جانفي فقد سجّلت 200 ايقاف معظمهم قصر، لتسجّل في اليوم الموالي 21 جانفي 242 حالة إيقاف، ووصل عدد الملفات التي تلقتها لجنة متابعة الايقافات و الاحتجاجات المتكونة من الرابطة و دمج المرابطة بمقر الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الانسان: 777 ملفا بينها ملفات 126 قاصرا تولى محامون متطوعون الدفاع عنهم.

احتجاجات ليلية بحي التضامن / تونس

Livre Migration Ftdes.indb 19 10/03/2022 12:51:00

مـن بيـن التهـم الموجهـة إليهـم: الاضـرار بممتلـكات الغير، الاعتـداء علـى أمـن الدولـة الداخلـي (تهـم سياسـية وقـد تـؤدي عقوبتهـا إلـى الاعـدام)، الاعتـداء بالعنـف الشـديد علـى موظـف عمومـي، هضـم جانب موظـف عمومي، محاولـة إضرام النـار عمدا بمبانـي الغيـر، الاعتـداء المدبر علـى حرية الجـولان ليـلا ومخالفة حظـر التجـول، مخالفة قانـون حالة الطـوارئ، مسـك وصنع مواد محرقـة وذات انفجار بـدون تصريح وبدون موجـب قانوني، تكوين وفـاق وعصابة مفسـدين قصـد الاعتداء علـى الأملاك والأشـخاص، التحريـض علـى الشـغب، الهـرج والتشـويش. كمـا لم يتـم توجيه اسـتدعاءات للحضـور لـدى مركز الشـرطة سـوى إلى 4 أشـخاص فقـط علـى مسـتوى وطني مـن أصـل 777 ملفا.

ونذكـر أيضا من بين أسـاليب الانتهـاك التي سـجلتها الرابطة: سـحل مواطن في سـليانة بعـد تعرضه لشـتى أنـواع التعذيب، كما أنّ كل الحـركات الاحتجاجيـة سـواء الليليـة أو النهاريـة قـد انجـر عنهـا مداهمـات ليلية و اسـتعمال الغاز المسـيل للدمـوع وإيقافات عشـوائية، كمـا منعـت السـلطات المواطنين مـن الالتحاق بمسـيرة البرلمـان يـوم 26 جانفـي والتي انجر عنهـا 3 إيقافـات ومداهمات ليليـة، لتتواصل سياسـة ومنهجيـة الإيقافـات، حيث تـمّ إيقاف 52 محتجـا منهـم 8 قصـر فـي مسـيرة 30 جانفي. كمـا تـمّ الاعتداء يـوم 02 فيفـري علـى مواطنيـن ومواطنـات كانـوا بصـدد توثيـق مظاهـرات ومسـيرات النقابـة الأمنية.

كما سـجّلت الرابطـة أيضا اعتـداء بالعنف على وزراء سـابقين ونـواب سـابقين واسـتهداف الأميـن العـام السـابق للاتحـاد العام لطلبـة تونـس. ومنـذ صـدور بيـان نقابـة الأمـن رصـدت الرابطة اسـتهداف الناشـطين الحقوقييـن والناشـطين فـي الحـركات الاجتماعية/السياسـية ومحامِيِـي الرابطـة التونسـية للدفـاع عـن حقوق الإنسـان أساسـا.

Livre Migration Ftdes.indb 20 10/03/2022 12:51:02

من خـلال الشـكاوى التـي تلقتهـا الرابطـة بمختلـف فروعها وتقاريـر زيارات أماكـن الاحتجاز ثبـت تعرض الموقوفيـن/ات إلى التعذيـب وسـوء المعاملة أثناء اقتيادهـم في السـيارات الأمنية وعند تواجدهـم في مراكـز الإيقاف:

- **خلـع سـراويل** بعـض القصـر الموقوفيـن وتهديدهـم بالاغتصـاب.
- **سكب الماء على القصر** وضربهم بالعصيّ (الماتراك).
- هنـاك موقوفـون أبنـاء أمنييـن وقع الاعتـداء عليهـم بالعنف الشديد.
- **التسـبب بكسـور خطيـرة** لبعـض الموقوفيـن ومنهـم موقـوف تحصل على شـهادة طبيـة ب 45 يوما تثبـت تعرضه لسـقوط على مسـتوى السـاق.
- **الاعتـداء بالعنـف الشـديد** علـى موقوفين حامليـن لإعاقات ذهنية.
- **الاعتداء بالعنف** على أولياء القصر أثناء المداهمات.
- **تهديـد مواطـن** وثّـق الاعتـداء بالغاز المسـيل للدمـوع على منزلـه وزوجتـه التـي تضـررت علـى مسـتوى السـاق عبـر نقلـه لفرقة الشـرطة العدليـة بطبربـة والاعتداء عليـه بالعنف وإجبـاره علـى إمضـاء التـزام أنه لـن يوثـق أي اعتداء مسـتقبلا.
- **سب / شتم / إهانة.**

ولمزيـد التأكيـد علـى أنّ تونـس عاشـت علـى وقْـع سـياقات قمعيـة وعنفيـة، فقـد أكـدّت أيضـا الهيئـة الوطنيـة للوقايـة مـن التعذيـب فـي بلاغ لها صـدر يـوم 27 جانفي 2021، وذلـك بعد أن قامـت بالعديد من الزيـارات المنتظمـة والفجئية لأماكـن الاحتجاز، علـى وجـود العديـد مـن الانتهـاكات، حيـث قامـت بتوثيقهـا رغم بعـض الصعوبـات التـي واجهتهـا أثناء الزيـارات، وطالبت السـلط

Livre Migration Ftdes.indb 21 10/03/2022 12:51:02

العموميــة باتخــاذ بعض الاجراءات الاســتعجالية.[2] كمــا صرّح ضياء الديــن مــورو الكاتــب العــام للهيئــة الوطنيــة للوقاية مــن التعذيب للصبــاح نيــوز وذلــك بمناســبة اليــوم الوطنــي لمناهضــة التعذيب (08 مــاي 2021) بــأن «الســنة الحاليــة اتســمت بتصاعــد حــالات العنــف والتعذيــب وســوء المعاملة وكذلك حــالات الموت المســتراب بــل ووصــل الأمر إلــى حدّ بتر عضــو من البــدن من ذلك اســتئصال خصيــة أحــد الموقوفيــن.» مؤكــدا أيضــا علــى أنّ «مــا ينقصنا هو وضع حــدّ للإفــلات من العقــاب.»[3]

إنّ انتهــاك الحريــات والقمــع العنيــف الــذي تعــرّض لــه شــباب الأحيــاء الشــعبية والجهــات المنســيّة والنشــطاء والفاعلون الحقوقيــون في تونــس العاصمة طــرح قضيّة وفرضيــة العودة إلى مربــع الدولة التســلطيّة في أذهــان العديد من الفاعليــن والجماعات الســكانية في ســياق ودعت فيه الدولة التونســية العديــد من الأرواح البشــرية جــرّاء فيروس كورونــا، كانت أحــد أبرز العوامــل المحفزة لاتخــاذ قــرار الهجرة، باعتبــار أنّ النخــب الحاكمة لا يمكنها إرســاء منــاخ الأمــل بقــدر ما تنجــح في تعزيــز مشــاعر الألم.

بناء علــى المعطيــات الاقتصادية وقمــع الحــركات الاحتجاجية التّــي انتهت بالانكســار فــإنّ الهجرة غيــر النظامية فــي تونس وإن كانــت تراجعــت مــن حيــث عــدد الواصلين إلــى إيطاليا خلال ســنة 2019 مقارنــة بعــام 2018، فإنّهــا عــادت إلــى الارتفاع منذ ســنة 2020 وهــذان الجــدولان يوضحــان تطــور الهجرة غيــر النظامية.

2 – انظر بلاغ الهيئة الصادر يوم 27 جانفي 2021.

3 - assabahnews.tn 08/05/2021 à 12 :18H.

Livre Migration Ftdes.indb 22 10/03/2022 12:51:03

الجدول عدد 1 : مقارنة بنفس الفترة خلال السنتين 2018 – 2019

الشهر	2018			2019		
	عدد الواصلين إلى إيطاليا	عدد عمليات الاجتياز المحبطة	عدد المجتازين الذين وقع إيقافهم	عدد الواصلين إلى إيطاليا	عدد عمليات الاجتياز المحبطة	عدد المجتازين الذين وقع إيقافهم
جانفي	611	17	188	31	8	177
فيفري	449	47	537	21	4	46
مارس	130	36	489	85	20	323
أفريل	720	43	583	116	11	166
ماي	824	43	780	94	19	249
جوان	289	23	377	249	23	254
جويلية	319	17	158	262	44	608
أوت	625	39	422	489	28	515
سبتمبر	559	35	356	864	39	500
أكتوبر	323	14	84	381	47	750
نوفمبر	175	24	333	90	22	501
ديسمبر	242	23	212	8	8	88
المجموع	5266	361	4519	2690	273	4177

Livre Migration Ftdes.indb 23 10/03/2022 12:51:05

وخلال السنتين 2020 – 2021

الشهر	2020			2021		
	عدد الواصلين إلى إيطاليا	عدد عمليات الاجتياز المحبطة	عدد المجتازين الذين وقع إيقافهم	عدد الواصلين إلى ايطاليا	عدد عمليات الاجتياز المحبطة	عدد المجتازين الذين وقع ايقافهم
جانفي	68	22	316	84	17	463
فيفري	26	25	571	660	77	1273
مارس	60	4	137	334	72	882
أفريل	37	6	99	307	42	409
ماي	494	60	1243	601	95	2487
جوان	825	119	1611	977	143	2120
جويلية	4145	245	2918	4044	211	2993
أوت	2306	191	1621	4035	317	5582
سبتمبر	1951	170	2035	1796	308	3199
أكتوبر	1300	157	1349	1504	263	2739
نوفمبر	1298	63	849	713	117	1969
ديسمبر	373	34	717	612	86	1541
المجموع	12883	1096	13466	15671	1748	25657

Livre Migration Ftdes.indb 24 10/03/2022 12:51:06

الجدول عدد 2: الواصلون إلى أوروبا بطريقة غير نظامية عبر مسالك مختلفة

	2011	2012	2013	2014	2015
الحوض الأوسط للمتوسط (إيطاليا ومالطا)	27982	2255	835	1683	880
الحوضان الغربي والشرقي للمتوسط	31	28	21	14	136
برا بطريقة غير نظامية (الشرق)تركيا، صربيا، رومانيا، دول البلقان، ألبانيا	815	434	367	38	44
برا بطريقة غير نظامية (الغرب) إسبانيا	0	0	0	0	0
المجموع	28829	1717	1223	1735	1060

	2016	2017	2018	2019	2020	2021
الحوض الأوسط للمتوسط (إيطاليا ومالطا)	1207	6415	5444	2681	12985	15675
الحوضان الغربي والشرقي للمتوسط	98	80	21	6	9	3
برا بطريقة غير نظامية (الشرق)تركيا، صربيا، رومانيا، دول البلقان، ألبانيا	62	27	22	64	190	452
برا بطريقة غير نظامية (الغرب)اسبانيا	1	4	519	1236	192	283
المجموع	1367	6526	6006	3987	13376	16413

Livre Migration Ftdes.indb 25 10/03/2022 12:51:07

عدد الواصلين إلى إيطاليا

2 690
2019

تطوّر عدد الواصلين إلى إيطاليا حسب الأشهر خلال 2021/2020/2019

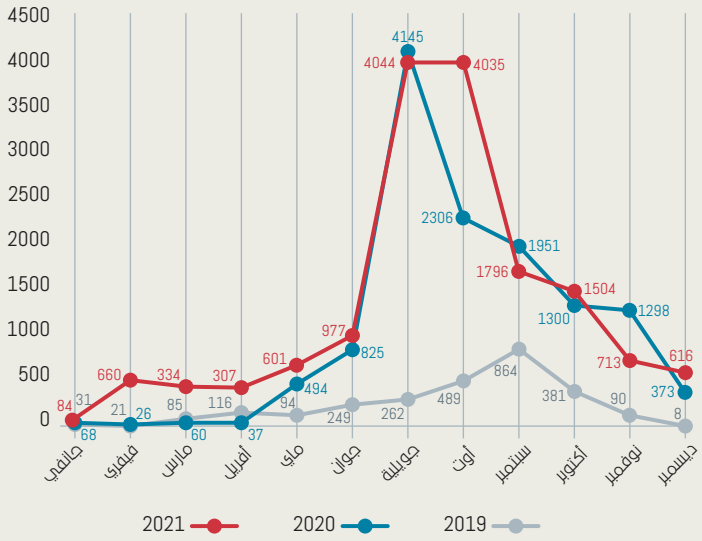

Livre Migration Ftdes.indb 26 10/03/2022 12:51:08

الفصل الثالث

الدّيمقراطية التّمثيليّة المشلولة وصعود الشعبوية وتنامي الهجرة غير النظامية

Livre Migration Ftdes.indb 27 10/03/2022 12:51:09

في الحقيقة لم تكن الديمقراطية فقط «مطلبا شعبيا وشعارا مركزيّا من الشعارات التي رفعها المنتفضون في وجه النظام القديم، ولم تكن طارئة على النطاق السياسي فعلا ومفهوما ومضمونا، بل كانت محورا قديما من محاور الصراع مع أصول نفس النّظام.[1]»

1) الدّيمقراطية التّمثيليّة: الولادة المشوّهة والنهاية المبكّرة

فمنذ أن احتكرت الدولة العمل السياسي ومنعت التعددية الحزبيّة منذ مطلع الستينات تقريبا كان مطلب التعددية والديمقراطية حاضرا في جلّ الحركات الاحتجاجية حتى وإن كانت برهانات اجتماعية. ولكن منذ النتائج الاجتماعية الوخيمة جرّاء الإصلاحات الهيكلية التي ساهمت في توسّع خارطة الفقراء بدأ مطلب الديمقراطية يتحوّل إلى مطلب ذي طابع اجتماعيّ مع الاحتفاظ بطبيعته السيّاسيّة على الأقلّ بالنسبة إلى من انتفض ضدّ الدولة التسلطيّة قبل سنة 2011.[2]

وهكذا فقد طُرحت الديمقراطية التمثيلية بالبلاد التونسية في سياقات ثورية باعتبار أنّها القادرة على الإجابة عن الأسئلة الاجتماعية والاقتصادية للتونسيين. فبالرغم من تواجد ملايين المنبوذين في شبه القارّة الهندية إلاّ أنّ ديمقراطيتها التمثيليّة ليست في أزمة إلى حدّ الآن لأنها لم تُطرح منذ البداية على أساس البند الاجتماعي مثلما حدث في تونس بعد سنة 2011، بل طرحت بصفتها آلية سياسية لشعب متعدّد الثقافات واللّغات والأعراف والديانات والمذاهب والآلهة وحتى الشياطين.[3]

1 – قسّومي، (المولدي)، **مجتمع الثورة وما بعد الثورة**، دار محمد علي للنشر، تونس، صفاقس، 2020، ص 565.

2 – المرجع السابق، ص 571.

3 – المرجع السابق ص 572.

Livre Migration Ftdes.indb 28 10/03/2022 12:51:10

عـلاوة علـى الأزمـة الاقتصادية فإنّ تونـس تبنـت الديمقراطية التمثيليّـة في وقـت تعرف فيـه الديمقراطية في جميـع أنحاء العالم ب «**اللحظـة الشـعبوية**» وفي سـياق تمـر فيـه الديمقراطية أيضا بأزمـة في العالم. وهكـذا سـتعاني الديمقراطية التمثيليّة التونسـية مـن كلّ اختلالاتها وتهيـئ الظـروف الموضوعية لظهور الشـعبوية اليمينية أو اليسـارية.[4]

إنّ الأحـزاب السياسـية الفائـزة فـي الهيئـات البرلمانيـة والتـي فرضـت نفسـها منـذ ترشـحها علـى المواطنيـن مـن أعلى، ولـم تنبثـق مـن قاعـدة المواطنين والتـي شـكّلت مقاربـة عمودية تتناقـض مـع قيـم الأفقيـة وانحصـار المواطنين فـي آلـة الاقتراع دون ترجمـة تصويتهـم إلـى أصـوات (أصـوت لكـن صوتـي لا يُسـمع[5]) وعجـز البرلمانييـن في إعادة إنتـاج المجتمع مـع تمتعهم بالحصانـة البرلمانيـة الأقـوى من السـلطة القضائية والتـي تتزامن مـع غيـاب وسـائل تقييميـة تجاههم فـي سـياق ارتفع فيـه معدّل الامتنـاع عـن التصويـت، وهـذا العامـل الأخيـر يُشـكّل خطـرا على الديمقراطيـات التّمثيليّـة. فـإذا كان **سـتيوارت مـل** يشـير إلى أنّ الأخطـار التـي تتعـرض لهـا الديمقراطيّـة النّيابيّة نوعـان: «**الأوّل** خطـر وجـود مسـتوى منخفـض مـن الـذّكاء فـي الهيئـة النّيابيّـة وفـي الـرّأي العـام، وهـذا مـا نعبّر عنـه في حالـة تونـس بضحالة الثقافـة والآداب والمسـؤوليّة السيّاسـية العامّـة علـى المسـتويين الشّـعبي والرّسـمي، و**الثّانـي** خطـر التشـريع الطّبقـي مـن جانب الأكثريـة العدديّـة، وهـي أكثريّـة تتألّف من نفـس الطّبقـة.[6]» فإنّ

4 - Boukraa, (Ridha), Populisme et crise de la démocratie, L'histoire sociale de la sociologie, In Hamdi Ounaina, Tunis, Sfax, Med Ali Edition, 2021, pages 245 à 262, p 255.

5 - Ibid. P 256.

6 – قسّـومي، (المولـدي)، **في مواجهـة التاريخ. صـدى الهيئة العليـا لتحقيق أهداف الثـورة في مسـار الإصـلاح السياسـي والانتقـال الديمقراطي في تونس**، تنسـيق ومتابعـة: ريـم عيسـى، دار محمـد علـي للنشـر، صفاقـس، تونـس، 2021، ص 674- 675.

Livre Migration Ftdes.indb 29 10/03/2022 12:51:12

المولـدي قسّـومي يُضيـف نوعـا ثالثـا مـن الأخطـار التـي تهدّد الدّيمقراطيـة بالزيـف والاحتيـال. وهـو أن «تكـون الأكثريّـة التـي تشـرّع هـي أكثريّة فـي البرلمـان ولكنّها ليسـت أكثرية شـعبيّة أو مجتمعيّـة بـل هـي أكثريّة الأقليّـة التي أدلـت بأصوات معبّـرة أثناء عمليّـة الاقتـراع، وهـي أقليّـة لأنّها لم تتجـاوز نصف عـدد الناخبين عمومـا، فمنـذ 2011 لـم تتجـاوز نسـبة المقترعيـن فـي عمليّـات التّصويـت 49% (فـي الانتخابـات التّأسيسـيّة) مـن الناخبيـن بمن فيهـم المقترعيـن الصّامتيـن (أصحـاب الأوراق البيضـاء والملغـاة معـا) وأصحـاب التصويـت المعبّـر، وقـد نزلـت نسـبة المشـاركة إلى حـدود 41،7% فـي الانتخابات التشـريعيّة لسـنة 2019. لذلك فـإنّ الدّيمقراطيّـة التّمثيليّـة/ النّيابيّة التي تعيشـها تونس تفشـل فـي أن تكـون فعـلا ديمقراطيّـة تمثيليّـة ونيابيّـة حقيقيّـة، خلال هـذه العشـرية الأولـى مـن عمرهـا.[7]» كمـا يتزامـن هـذا العزوف مـع عـدم التـزام البرلمانييـن بوعودهـم الانتخابية وتنامي الفسـاد وتحـول الأحـزاب إلى مؤسسـات حيث لم تعُـد تعبّر عـن ديناميكية المجتمـع وأصبحـت «خـارج الأرض» Hors Sol[8] دون أي اتسـاق سوسـيولوجي أو أيديولوجي.وهـذه كلّهـا عوامل تسـاهم في تراجع شـرعية الديمقراطيـة التّمثيليّـة وتصاعـد أصوات الشـعبوية.

إنّ أزمـة الديمقراطيـة التمثيليـة والمطالبـة بحـلّ الهيئـة البرلمانيـة[9] تعـود إلـى عـدّة عوامل[10]، ولكـن يظلّ عجزهـا في حلّ المسـائل الاجتماعيـة والاقتصاديـة مـن أبـرز العوامل التي سـرّعت فـي نهايتها، فهي لم تُعبّر عـن آمال وطموحات النـاس. فباختصار،

7 – المرجع السابق، ص 675.

8 - Boukraa, (Ridha), Populisme…, op.cit. P 256.

9 – لا يـزور الرئيـس قيـس سـعيد عديد الجهـات قبـل 25 جويليـة 2021 إلاّ ويسـتقبله المواطنـون برفـع شـعار «الشـعب يريـد حـلّ البرلمـان».

10 – لمزيـد الإطـلاع يُمكن للقارئ العودة إلى: المولدي قسّـومي: «**مجتمـع الثورة وما بعد الثـورة**»، (سـبق ذكره)/ «**فـي مواجهة التاريخ**»، (سـبق ذكره)

Livre Migration Ftdes.indb 30 10/03/2022 12:51:13

إذا كانت نقطة ضعف الديمقراطية الانجليزية توجد في النطاق المجتمعي ونقطة ضعف نظيرتها الفرنسية توجد في النطاق السياسي، فإنّه وفقا للمولدي القسومي تونس قد جمعت بينهما. فهي توجد في النصاب الأوّل باعتبار أنّ «**السياسيّين اختاروا الديمقراطية التمثيليّة التي خلقت تصدّعا بين الناخبين والمنتخبين من ناحية كما أنّ السياسيّين اختزلوا الديمقراطية في الانتخابات، وهم يتعاملون معها على أنّها الفرصة الوحيدة التي يمكن استثمارها سياسيّا حسب الأهداف والنّفعيّة. يعني أنّهم لا يعتبرونها هدفا في حدّ ذاتها، ولا حتّى آليّة تشتغل باستمرار مهما كانت نتائج الانتخابات لصالحهم أو لصالح غيرهم، والدليل على ذلك أنّ غياب الديمقراطية هو المعضلة الكبرى التي تعانيمنها غياب الأحزاب المتحكّمة في الحياة السياسية عموما، لذلك فإنّنا على المستوى السياسي إزاء ديمقراطية بلا مؤسسات ديمقراطيّة.**[11]» كما يكمن ضعف الديمقراطية وجذور أزمتها أيضا في النصاب المجتمعي ذلك «**أنّ أغلب أفراد الشعب لا يميّزون بين العامل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في تحديد مواقفهم واختياراتهم في تفويض السياسيين وبين العامل الدّيني والقرابي والأخلاقي في تفويض ممثليهم في السلطة (مجلس نوّاب الشعب أساسا)، كما أنّهم لا يميزون بين المؤسسات والأفراد في منح الوكالة**

> ديمقراطية الزيف والاحتيال عندما تكون الأكثريّة التي تشرّع هي أكثريّة في البرلمان ولكنّها ليست أكثرية شعبيّة أو مجتمعيّة

11 – قسّومي، (المولدي)، مجتمع الثورة...، سبق ذكره، ص 567.

Livre Migration Ftdes.indb 31 10/03/2022 12:51:14

النيابيّة المنبثقة عنهم باعتبارهم مصدر الشرعيّة.[12]»
وهكذا «استجابت الدّيمقراطيّة التّوافقيّة في تونس لكلّ عيوب التّجارب الفاشلة وحملت في جسمها كلّ أورام السّياسة بسبب أبنائها غير الشرعيّين الذين وقّعوا على شهادة ابتذالها وبطلانها منذ البداية، فكانت ولادتها مسيخة، ونهايتها مبكّرة، وأمضت عمرها القصير متآكلة من الدّاخل، وذلك لأنّها أصبحت موضوعا للتّوافقات المغشوشة وعنوانا للتحيّليّة السّياسيّة، وبدأ التّفكير الجدّي فيها، وتراجع العمل بحماسة لأجل إرسائها كأفضل ما أبدعه العقل السيّاسي الإنساني من نظم الحكم.[13]»

2) حينما تُيَسر أزمة الدّيمقراطيّة التمثيليّة صعود الشعبوية

إنّ الديمقراطية التّمثيليّة في تونس هي ديمقراطية مريضة ومشلولة وعاجزة عن إخراج البلاد من الأزمة الاقتصادية التي تتخبط فيها والتي تفاقمت بعد الثورة، فالديمقراطية لا تختزل في الانتخابات وحريّة الصحافة، فإذا لم تتوفر في الدّيمقراطية قدرة الإنجاز فإنّها تولد بالضرورة القائد الشعبوي، الذي لا يُنتخب لأدائه بل عقابا للطبقة الحاكمة العاجزة والمشتبه في نظافتها وصدقها.[14] وبالفعل فتحت أزمة الديمقراطيّة التمثيليّة الباب لتشكّل «**التنوّع الطّيفي للحشود القيسيّة.**[15]» وتحمل عبارة الطيّف هنا «المعنى الذي يفيد انعكاس الظلّ على المساحة الضّوئيّة، والمعنى الذي يحيل على جموع غير واضحة المعالم وغير محدّدة من حيث الأصل والعدد.»[16] وبالتالي المعنى

12 – المرجع السابق، نفس الصفحة.

13 – قسّومي، (المولدي)، في مواجهة التاريخ...، سبق ذكره ص 683-682.

14 – بوكراع، (رضا)، **اللحظة الشعبويّة واللحظة الدّيمقراطية في عالمنا اليوم**، موقع التونسيون attounisiyoun.com، نُشر في 29 أفريل 2020، زيارة الموقع في: 22 ديسمبر 2021، على الساعة: 16:56.

15 – قسّومي، (المولدي)، **التنوّع الطّيفي للحشود القيسيّة**، حركيّة المجتمع التونسي في عشرية الثورة. بين «إرادة الحياة» و«استجابة القدر»، تقديم: المولدي قسّومي، دار محمد علي للنشر، صفاقس، تونس، 2020، ص 225- 257.

16 – المرجع السابق، ص 225.

Livre Migration Ftdes.indb 32 10/03/2022 12:51:15

المـزدوج للعبـارة ذلـك أنّ المعنييـن يندرجـان ضمـن معجميـن وحقليـن متباعديـن، إلاّ أنّ المفارقة السوسـيولوجية تتمثّل في قدرة الحالـة القيسـيّة علـى الجمـع بينهما. أما الحشـود فهـي دلالة على المعنـى الذي طرحه **غوسـتاف لوبـون** منذ عـام 1895، «وانطلاقا مـن خصائصهـا المتمثّلة فـي أنّ الحشـود لا تميل كثيرا إلـى التّأمّل وغيـر مؤهلـة للمحاكمـة العقليّـة، فهـي حشـود نفسـيّة تخضـع لقانـون الوحـدة العقليّـة للجماهيـر وتقـع تحـت فاعليّـة العـدوى الذهنيّـة. أمّـا الخصائـص الأساسـيّة للفـرد المنخرط في الحشـود فهي تلاشـي الشـخصيّة الواعية وهيمنة الشـخصيّة اللاواعية وتوجّه الجميـع ضمـن نفـس الخـط بواسـطة عـدوى العواطـف والأفكار. فالحشـود هـي دائمـا أدنى مرتبـة من الإنسـان المفرد فيمـا يخصّ النّاحيـة العقليّـة والفكريّة.[17]» وهكـذا قـام الرئيس الشـعبوي قيس سـعيد بتنزيل اجتماعي لأزمـة الدّيمقراطيـة التّمثيليّـة وجمع حوله العديد مـن الأصـول[18] والمرجعيات التـي حكمتهـا العواطف لأناس ضـاق بهم الحـال لمدّة عشـر سـنوات، ولأحـزاب وائتلافـات أرادت هـي أيضا التوسّـع فـي امتدادهـا الجماهيـري واسـتغلال الفرصة السياسـيّة عن طريق الدعـم الانتخابـي للرئيس الشـعبوي باعتباره الأسـتاذ الصـادق الـذي نجـح فـي اسـتقطاب العواطـف البشـريّة والذي سـيدحض المدنّس ويؤسـس للمقدّس. وهكـذا صار النموذج السياسـي الـذي يرتكـز علـى الصراع نسـيا منسـيا وأي شـكل من أشـكال المقاومـة تصنّـف علـى أنّـه تقليدي وغيـر صحـي، ليفقد الخطـاب السياسـي والاجتماعي قيمتـه. لقد فرضت الأخلاق نفسـها بقـوة وأصبحنـا نقيـس بها العمـل الجماعـي. فعـوض الحديث عن ثنائيـة اليميـن واليسـار أصبحنا نتحدث عـن الشـرّ والخير.[19]

17 – المرجع السابق، ص 225، 226.

18 – لمزيد التعمّق يمكن للقارئ العودة للمرجع السابق.

19 – علـوش، (نـور الديـن)، **السياسـي وديناميكيـة المشـاعر الجماعيـة** للفيلسـوفة البلجيكيـة **شـانتال مـوف**، مجلّـة لوغـوس، العـدد الثانـي. Labopheno.com. زيارة الموقـع: الخميـس 23 ديسـمبر 2021 علـى السـاعة: 16:07.

Livre Migration Ftdes.indb 33 10/03/2022 12:51:16

3) عشرية «توالي الأهوال» تغذّي «الخزّان الوطني» للمهاجرين والهجرة غير النظامية

إنّ فكرة وانخراط الناس في المشاريع الهجرية غير النظامية لا تتبلور بين عشية وضحاها. فهذه الرحلة تنطلق من وضعية التفكير في الهجرة إلى وضع إنجاز الهجرة، وهذا المشروع الهجري غير النظامي يتطلّب أولا وقبل كلّ شيء موارد ماديّة لا يمكن لأغلب المحتمل هجرتهم توفيرها في فترة وجيزة، ثمّ إنّ اتخاذ القرار الهجري يأتي بعد انخراط الفرد لفترة زمنية بصرف النظر عن مدى قصرها أو طولها في شبكات اجتماعية تفكّر هي أيضا في الهجرة، ويتبلور القرار الهجري بعد انسداد الأفق، وتنامي مشاعر الخيبة والإحباط، ومحاولة الأفراد تحقيق الرفاه في موطنهم الأصلي لكنّهم عجزوا عن ذلك، وانخراط العديد منهم في تحركات احتجاجية برهانات اجتماعية بغاية تحسين أوضاعهم الاقتصادية لكنّ تحركاتهم انتهت بالقمع الأمني أو بحلول هشّة نعتبرها بمثابة «الرشوة الاجتماعية» مثل «الآلية» أو «شركات البيئة والغراسة والبستنة» أو بوعود «زائفة» لا أساس لها من الصحة. لذلك فإنّ أزمة الديمقراطية التمثيليّة وولادتها المشوّهة ونهايتها المبكرة ومضامينها المسيخة والفاشلة والمبتذلة خلال العشرية الأولى من الثورة التونسية والتي هي استمرارية للدولة التسلطيّة قبل عام 2011 هيّأت الأرضية الخصبة لتنامي التفكير في المشاريع الهجرية، وانتظار اللحظة الحاسمة لركوب قوارب الموت حالمين بالبلوغ إلى ضفته الشمالية. وهكذا فإنّ منعرج الخامس والعشرين

قوارب الموت
تشقّ البحر المتوسّط

Livre Migration Ftdes.indb 34 10/03/2022 12:51:17

مـن جويليـة وفرحـة العديـد مـن التونسـيين بالحالـة الاسـتثنائية التـي أعلـن عنها رئيـس الجمهورية مـا هـي إلاّ حالة سـياقيّة تعبّر عـن نفـور النـاس مـن الديمقراطيـة النيابيـة مـن ناحيـة وكانـت بمثابـة الفرصـة الحاسـمة لصعـود قـوارب الرحلـة فـي الفضـاء البحـري المتوسـطي لجماعـات سـكانية تونسـية قـرروا الهجـرة بطريقـة غيـر نظاميـة بعد فقدانهـم الأمل مـن ديمقراطيـة تمثيليّة مزيّفـة ومريضـة مـن ناحيـة أخـرى. فالمجتمـع عشـيّة الخامـس والعشـرين مـن جويليـة وصـل إلـى ذروة الحرمـان لمـدّة فاتـت العشـر سـنوات. فالتحـولات السياسـية الكبرى تفتح السـاحة للنزاع السياسـي، وهذا السـياق الأخير تسـتغله شـبكات التهجيـر، لينخـرط المهمشـون الذيـن فكـروا منذ سـنين توالي الأهـوال (2011-2020) في مغادرة موطنهـم الأصلـي فـي مشـاريع قـوارب المـوت ويكـون يـوم عيـد الجمهوريـة هـو الفرصـة التي حلـم بهـا العديـد مـن المنسـيين. فعشـرية توالي الأهـوال أنتجـت «**خزّانـا وطنيـا**» للهجـرات غيـر النظاميـة مفتوحـا على اسـتقبال مئـات الآلاف من العاطليـن والمهمشـين والمفقريـن. فالجماعـات السـكانية التونسـية الفقيـرة والمنسـية كانـت جاهـزة لمغامرة الهجـرة غير النظامية عشـيّة 25 جويليـة. فقـد أثبتـت دراسـة أنجزهـا **زهيـر بن جنّـات** وهـي مـن منشـورات المنتـدى التونسـي للحقـوق الاقتصاديـة والاجتماعيـة والمعنونـة ب «**الجائحـة وتطـور النوايا الهجرية لدى الأسـر التونسـية**»، والتـي أنجـزت فـي سـبعة أقاليـم خـلال الفترة الممتـدة بين 15 جـوان و20 جويلية 2021، أنّ 70% من العيّنة المسـتجوبة من الأسـر التونسـية قـد أقـرّت بـأنّ الظـروف الاقتصاديـة

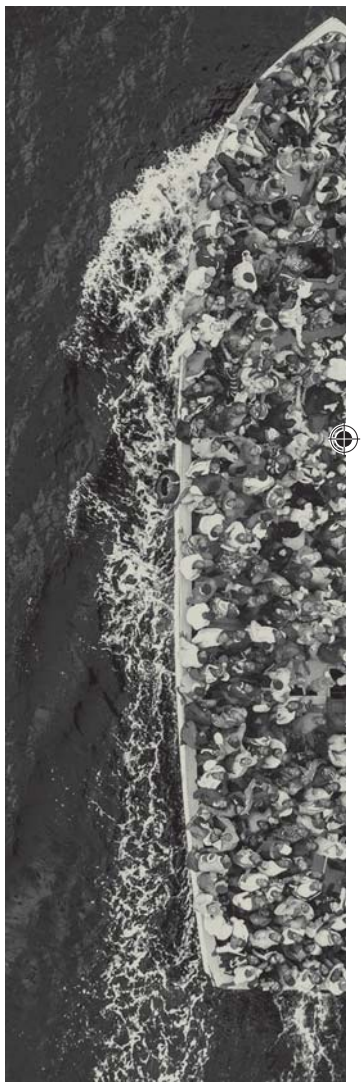

Livre Migration Ftdes.indb 35 10/03/2022 12:51:19

في الخارج أفضل من تونس، وأنّ نسبة عدم الرضا تماماعن الظروف العامة المحيطة بهم في صفوف الفئات العمرية ما بين 18 و29 سنة هي 45%. أما بالنسبة للفئات العمرية الأكثر من 60 سنة فهي 14%.[20] وتعود خيبة الأمل هذه خاصّة لدى فئة الشباب لا للجائحة فقط بل لسياقات العشرية بأكملها لتزيد كورونا من حدّتها، وهكذا فإنّ موجات الهجرة لم تنقطع منذ سنة 2011، ولهذا فإننا نقدم جدولين الأوّل يخص تطور الهجرة منذ الثورة والثاني يخص الأشهر السبعة الأولى من عام 2021.

الجدول عدد 3 : الهجرة غير النظامية منذ سنة 2011

السنة	الواصلون الى أوروبا عبر مختلف المسالك	عدد المجتازين الذين وقع إيقافهم
2011	28829	7595
2012	1717	1230
2013	1223	1120
2014	1735	1191
2015	1060	1881
2016	1367	1035
2017	6526	3178
2018	6006	7146
2019	3987	4177
2020	13376	13466
2021	16413	25657
المجموع	82239	67676

20 – تصريح لزهير بن جنات عبر موجات موزايك آفم Mosaique FM يوم 04 جانفي 2021 على الساعة 09:34 صباحا.

Livre Migration Ftdes.indb 36 10/03/2022 12:51:20

الجدول عدد4: تطور الهجرة غير النظامية من جانفي إلى جويلية 2021

الشهر	عدد الواصلين	الرجال	النساء	القصر مع مرافقة	القصر دون مرافقة
جانفي	84	66	5	0	13
فيفري	660	525	16	12	107
مارس	334	279	9	4	52
أفريل	307	229	8	2	68
ماي	601	386	16	13	186
جوان	977	651	37	34	244
جويلية	4044	3150	153	147	594

4) منعرج الخامس والعشرين من جويلية: سقوط البرلمان وقدوم «رجل على صهوة جواد» وتصاعد الهجرات

صحيح أنّ القرار الرئاسي بعث جرعة أمل لدى فئات عديدة من التونسيين، فمنذ يوم انتخابه بأرقام قياسيّة رئيسا للجمهورية اعتبره العديد من الفئات والطبقات خاصّة منها الوسطى والشعبية بمثابة «الأستاذ الصادق» والقادر على تحقيق طموحاتهم رغم أنّه لم يُقدم أي وعود اقتصادية واجتماعية، فهو المنقذ في نظر العديد من التونسيين، الذي سينقذ البلاد من «الخطر الداهم». ولكن قراره يوم عيد الجمهورية يظلّ محدودا لسببين اثنين على الأقلّ: أولا عدم توضيحه للخارطة السياسية القادمة ليأتي خطابه متأخرا نسبيا ليلة 13 ديسمبر 2021، وثانيا عدم تقديمه لأيّ برنامج اقتصادي واجتماعي خاصّة أنّ طبيعة تاريخ الانتفاضات الشعبية بالبلاد التونسية غالبا ما تندلع بسبب مضامين اجتماعية بالأساس وتنتقل بعدها من «اللاتسييس» إلى «التسييس» (الانتفاضة الشعبية 1864، أحداث الخبز 1984، الحوض المنجمي 2008، 2011 الخ...)

إنّ ضبابية المشهد السياسي وعدم تقديمه لأيّ برنامج

Livre Migration Ftdes.indb 37 10/03/2022 12:51:21

اقتصـادي مفصّـل، أو تقديمـه لميزانيـة 2022 دون تفسـيرات وإسـتراتيجية واضحة، واعتماده على أسـلوب التعويـم والتكرار إلى حـدّ المبالغـة أحيانـا فـي خطبه بشـكل يذكرنـا بالمقولـة الألمعية للداهيـة تاليـران - وزيـر خارجية نابليون وأسـطورة الدبلوماسـية الفرنسـية: «**كلّ مـا يُبالـغ فيـه هـو أمر غيـر ذي أهميّـة**»، هذه فلسـفة القيمـة فـي السياسـة مُلخّصـة فـي بضـع كلمـات، خادعةٌ بمظهرها الاعتيادي.[21]» كلّها دلالات كانت تُبيّن أنّ رئاسـة الجمهورية لا تمتلـك (علـى الأقل حاليـا) أي رؤيـة اقتصادية. فالقرار الرئاسـي الـذي كان بمثابـة «بارقـة الأمـل» سـرعان مـا تحـوّل إلـى «خيبـة الأمل» بسـبب غيـاب المضاميـن الاقتصاديـة والاجتماعية. فاتّسـاع الفجـوة بيـن مـا يطلبه الناس (شـغل، حريّـة، كرامة وطنيـة) وبين مـا يحصلون عليه يسـاهم فـي ارتفاع «مخـزون الإحبـاط» وتنامي «الحرمان» «فالطموحـات غيـر المتحققـة تولّـد مشـاعر بالإحباط، لكـن التوقعات غيـر المتحققة تؤدي إلى مشـاعر الحرمـان. ويمكن عـادة تحمّـل الإحباط لكـن الحرمـان كثيرا مـا يكون غيـر محتمل. فالفـرد المحـروم يشـعر بأنّـه مدفـوع كرهـا، إلـى أن يقـوم، بأي وسـيلة متاحـة، بمعالجة الإحباط المـادي والنفسـي المنبثق منه.[22]» وإن كان الحرمـان عامـلا محفزا للثـورة والعصيـان والاحتجاج، إلاّ أنّ أغلـب الحـركات الاحتجاجيـة ذات الرهانات الاجتماعيـة (خاصّة العاطليـن) لـم تُحقـق مطالبهـا، لذلك يُصبـح ركوب قـوارب الموت شـكلا احتجاجيـا معبّـرا عن عـدم تأقلمـه مـع السـياقات الجديدة مـن ناحيـة وباحثا عـن حظوة اجتماعيـة مرموقة مـن ناحية أخرى.

كما ظـلّ الرئيس يعتمد مقاربـة ثنائية **الخبـز والألعاب**. «هذه العبـارة اللاتينيّـة التي ذهبـت مثلا للتعبيـر عن نمط حياة الشـعب

21 - دونـو، (آلان)، «**نظـام التّفاهـة**»، ترجمة: مشـاعل عبـد العزيز الهاجري، دار سـؤال للنشـر، بيـروت، لبنـان، 2020، ص 61.

22 - غيـر، (تيـد روبـرت)، «**لماذا يتمـرد البشـر**» ترجمة ونشـر: مركز الخليـج للأبحاث، دبـي، الإمـارات العربيـة المتحـدّة، 2004، ص 90.

Livre Migration Ftdes.indb 38 10/03/2022 12:51:22

الروماني في فترة الانحطاط قبيل انهيار روما، عندما كان الرومان مأخوذين تماما بالمتع الحسيّة من لذائذ وترف وطعام (الخبز) وبألعاب المجالدين الدموية في الملعب (الألعاب)، والتي دخلت القاموس السياسي الحديث فصارت تستخدم للدلالة على الأولويات التافهة للسياسيين المُضلّلين للشعوب.[23]» وهذا ما لاحظناه في أفعال وأقوال الرئيس، أين ظلّ يُراهن على أيام وطنية للقاح، (وهذا مكسب لا يمكن إنكاره بصرف النّظر إن كان مسيّسا أو لا) وزياراته الفجئية لمخازن المواد الاستهلاكيّة مقدّما وعودا بالمحاسبة العدليّة والقضائية لأصحاب رأس المال والمحتكرين، ودعوته لمنظمة أرباب العمل الذين طلب منهم التخفيض في المواد الاستهلاكية وتوفيرها للطبقات الشعبيّة، وأعلنت حكومته بعودة المهرجانات والاحتفالات الثقافية وعودة الجماهير إلى المدرجات الرياضيّة وهكذا هي الشعبوية الذين يشغلون شعوبهم بالمطالبات شعبوية عوضا عن وضع السياسات الحصيفة، فينجحون في إشغال الناس بشؤون المعاش من جهة (النزعة الاستهلاكيّة ونقاشات الأسعار والرسوم والرواتب والصحة والتأمين) وبأنشطة الفرجة من جهة أخرى (الترفيه وكرة القدم).[24]» لتظلّ شعاراته فضفاضة وجامدة خالية من البعد والعمق السياسي، فالرجل الذي قدم على صهوة جواد لم يكن محمّلا بمعانِيَ ودلالات اقتصادية واجتماعية ليكتفي فقط بتقديم تكتيكات «**مساحيق التجميل**».

5) المشهد السياسي بعد 25 جويلية: حينما ترتطم جرعة الأمل بالألم

إنّ مشهدية ما بعد عيد الجمهورية لعام 2021 تذكرنا بمشهدية ما بعد 14 جانفي 2011، ولكن بزمانية وسياقات

23 – دونو، (آلان). سبق ذكره، ص 58.

24 – المرجع السابق، نفس الصفحة.

Livre Migration Ftdes.indb 39 10/03/2022 12:51:23

أخـرى. حيث تحـوّل الجميع إلـى محلّيـن وأنصار وإلـى محاربين أشـدّاء يتطايـر الشّـرر مـن عيونهـم، ويجـردون فـي وجهـك، عند أوّل فرصـة، سـيفا بتّارا، «الشـعب يريـد» «نحن نريد» وإن تشـكّك أحدهـم فـي إذعانـك، دمغك، مـرّة واحـدة، بالحجّـة النافـذة: الأمة والجماعـة والديـن[25] بعـد سـنة 2011، وبالشـعب يُريـد والرئيـس النظيـف والآخرين الشـياطين بعـد الخامس والعشـرين من جويلية. وتحوّل شـعار «**الشـعب يريـد**» إلى «**الشـيخ والمُريـد**» وذلك من خـلال عـدم قبـول القيْسـيين لأي فكـرة أو بيـان أو خطـاب ناقـد لرئيـس الجمهوريـة باعتبـاره الشـخصيّة «المقدّسـة» مـن ناحية، ومـن خـلال خطابـات هـذا الأخيـر مـن ناحيـة أخـرى أيـن يتهـم (دون أن يذكـر خصومـه) كلّ الفاعليـن الذيـن عدّلـوا أو عبـروا عن تعديـل موقفهـم مـن بياناتهـم الصادرة يـوم 26 جويليـة[26]2021، بالخيانـة أو علـى أنّهـم اصطفوا ضـدّه باعتبار أنّ الرئيـس لم يقدم لهـم مناصـب سياسـية. وكأنّـه يُريد أن يؤسـس إلى صـورة الفلاّح المراكشـي الحامل فـي الصندوق الخلفـي لدراجتـه النارية دجاجة كان تخيّرهـا مـن قـنّ دجاجـة ليحملهـا أعطيـة للموظّـف المكلّف بتوزيـع القـروض الفلاحيـة، أو القائـم علـى توزيـع دورات ميـاه الريّ داخـل الجمعيـة المائية.[27]

25 – الخلفـاوي، (مختـار)، «**هـل غادرنـا السـقيفة؟ الحنابلـة الجـدد فـي تونـس المحروسـة**»، تقديم: شـكري مبخـوت، دار صامد للنشـر والتوزيع، صفاقـس، تونس، 2021، ص 25.

26 – علـى غـرار الإئتـلاف الحاكم، وباسـتثناء حزب العمّـال المعارض، أصـدرت العديد من الأحـزاب والمنظمـات والجمعيـات بيانات يـوم 26 جويلية تحـت عناويـن مختلفة منها: «تصحيـح المسـار» / «ثـورة ضـدّ عشـرية النهضة» الـخ، ولكن بعـد ضبابية المشـهد السياسـي عـدّل العديـد مـن الفاعليـن موقفهـم، ولكـن هـذا الموقف لـم يقبلـه رئيس الجمهوريـة موجهـا لهـم تهمـا مثـل «الطمع» فـي خطابه ليلـة 13 ديسـمبر 2021.

27 – عبـد الرحيـم، (حافـظ) « **الزبونيـة السياسـية فـي المجتمـع العربـي. قـراءة اجتماعيـة- سياسـية في تجربـة البنـاء الوطني بتونـس**»، مركز دراسـات الوحدة العربيـة، بيـروت، لبنـان، 2006، ص 31.

Livre Migration Ftdes.indb 40 10/03/2022 12:51:24

كما أنّ التحليلات السياسيّة في المنابر الإعلاميّة تذكرنا بتحليلات سنة 2011 وما بعدها، والتي تتطلب اليقظة التّامة. فقد برز **الكاسندريون**، «(نسبة إلى كاسندرا إحدى بنات الملك بريام في قصّة الإلياذة) وهم ممارسو الكاسندرية الذين ينتهون على نبوءات مفزعة، بل حتى درامية... وهم الأشخاص المغرقون في التشاؤم والمبالغون في نبوءاتهم[28]». ونعني هنا أساسا حركة النهضة وأنصارها وحلفاءها والمستفيدين منها من زمن حكمهم، أين صدّروا خطابات وتحليلات مفادها أنّ هذا «الانقلاب» سيؤسس إلى الديكتاتورية ويضع البلاد في خانة الأزمة الاقتصادية الخانقة وتنامي مشاهد الألم والمجاعة. كما اتخذت هذه القوى التي كانت منتفعة من نظام ما قبل 25 جويلية شكلا عنكبوتيّا، «يتداخل فيه رأس المال الفاقد لمصالحه القديمة والقوى المتضرّرة في مصالحها الماديّة ومواقعها الرمزية مع الإعلام المسعور، وعدد من مكونات مؤسسات القضاء والأمن و«كلاب الحراسة» من المثقفين المستعدين لـ«تجميل صورة الشيطان» بعد الاستقالة من دورهم النقدي والإبداعي، من أجل مصالحهم الخاصّة أو مصالح أيديولوجية ضيّقة.[29]» وهكذا تحالف كلّ المنهزمين وصدّروا وجهة النظر المتشائمة ومفادها خيبة الأمل من منعرج الخامس والعشرين من جويلية، ولكن

> **القرار الرئاسي الذي كان بمثابة «بارقة الأمل» سرعان ما تحوّل إلى «خيبة الأمل» بسبب غياب المضامين الاقتصادية والاجتماعية.**

28 – عبد الرحيم، (حافظ)، «**فاعلو الانتقال الديمقراطي: أيّ دور للنخبة في فهم المراحل الانتقالية في التجربة التونسية؟**»، النخب والانتقال الديمقراطي. التشكّل والمهمات والأدوار، تحرير مهدي مبروك، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت 2019، ص 545، 575، ص 566.

29 – المرجع السابق، نفس الصفحة.

Livre Migration Ftdes.indb 41 10/03/2022 12:51:25

مقابل هـذه الأصوات المتشـائمة تظهر الأصوات الأشـدّ تفـاؤلا التي تؤكـد على عـدم الانسـياق وراء خطابـات الكاسـندريين، باعتبارها علامـة مـن علامـات الماضـي الأليـم، والتـي تعـد التونسـيين بغد مُشرق .

لكـن مـا بيـن المتشـائمين والمتفائليـن، غابـت التصـورات والبرامـج الاقتصاديّـة والاجتماعيـة، وبـدأت جرعـة الأمـل تتحـوّل إلـى ألـم كما حـدث في الأشـهر الأولـى مـن سـنة 2011. «فيمكن أن يسـتحيل الأمـل خيبـة أمل فـي أذهـان مختلف شـرائح المجتمع الثائـر الحامـل فـي الأصـل لانتظـارات متعـددّة ومتنوعـة، لكنـه يعجـز عـن أن يرى ولـو بـوادر تحققها فـي البداية: إذ «**سـرعان مـا تمضـي شـهور الحماسـة الأولـى وينحسـر رداء الفـرح عمـا كان ثاويًـا تحتـه** «بحسـب عبـارة عالـم الاجتماع الاسـباني **خـوان لينز**.[30]» ليبـرز للجميـع أنّ قـرارات الرئيس ليسـت سـوى «وهـم رومانسـيّ» وأنّ خطاباتـه مـا هـي إلاّ «يوتوبيـا». فالأحـلام التـي عانقهـا الشـباب ذات 17 ديسـمبر 2010 وآمن بها مسـاء 14 جانفي 2011 تبخّرت وسـط الساسـة والحكومـات المتعاقبة، اليوم أيضـا ارتطمت آماله التـي كان ينتظرها من قبل رئيـس الجمهورية والتـي لـم تظهر بوادرهـا بعد بخيبـة الأمـل وبالتالي العـودة إلى سـردية الألـم. فالشـعب يريـد حقيقـة لـم يكن يعـرف مـاذا يُريد منـذ البداية، وكأنّه شـعار يسـتحق التفكير السوسـيولوجي الرصين مثلمـا حللّ **جلبيـر الأشـقر**[31] اللغز السياسـي بالغ التعقيـد حينما رددت ملاييـن الحناجر فـي ميادين المدن العربية وسـاحاتها خلال الانتفاضـة التـي عمّـت المنطقـة العربية فـي عام 2011 «الشـعب

30 – المرجع السابق، ص 568.

31 – الأشـقر، (جلبير)، «**هل يسـتطيع الشـعب إسـقاط نظام والدولة لا تـزال قائمة؟ تأمُّـل فـي المعضلة الرئيسـة للانتفاضـة العربية**»، الثـورات العربية. عسـر التحول الديمقراطـي ومآلاتـه، إعـداد وتنسـيق: محمد جمـال بـاروت، المركز العربـي للأبحاث ودراسـة السياسـات، بيروت، لبنـان، 2018، ص 33، 42.

Livre Migration Ftdes.indb 42 10/03/2022 12:51:26

يريد إسقاط النظام» ولكن «أي نظام» وكيف يتميّز النظام من الدولة التي لم يدع أحد إلى إسقاطها، متسائلا هل يستطيع الشعب إسقاط نظام والدولة لا تزال قائمة؟

وفي سياق خيبة الأمل فإنّ عدد الواصلين الى إيطاليا منذ 25 جويلية بلغ 10088 تونسيا (منهم 1420 وصلوا خلال الأسبوع الأخير من جويلية) أمّا عدد المجتازين الذين تم منعهم منذ 25 جويلية فقد وصل إلى 16130 مهاجرا من جميع الجنسيات، وتم احباط 1183 عملية اجتياز منذ الحالة الإستثنائية. ليمثل عدد المجتازين الذين تم منعهم خلال سنة 2021 أكثر من 61% من جملة الذين تم منعهم خلال عشر سنوات (2011 – 2020).

الجدول 5: تطور الهجرة غير النظامية بعد 25 جويلية

الشهر	عدد الواصلين	الرجال	النساء	القصر مع مرافقة	القصر دون مرافقة
أوت	4035	3316	153	197	369
سبتمبر	1796	1478	73	90	155
أكتوبر	1504	1246	53	78	127
نوفمبر	717	754	17	22	65
ديسمبر	616	545	13	15	43

Livre Migration Ftdes.indb 43 10/03/2022 12:51:27

Livre Migration Ftdes.indb 44 10/03/2022 12:51:28

الفصل الرابع

أمننة الهجرة في سياسات الاتحاد الأوروبي

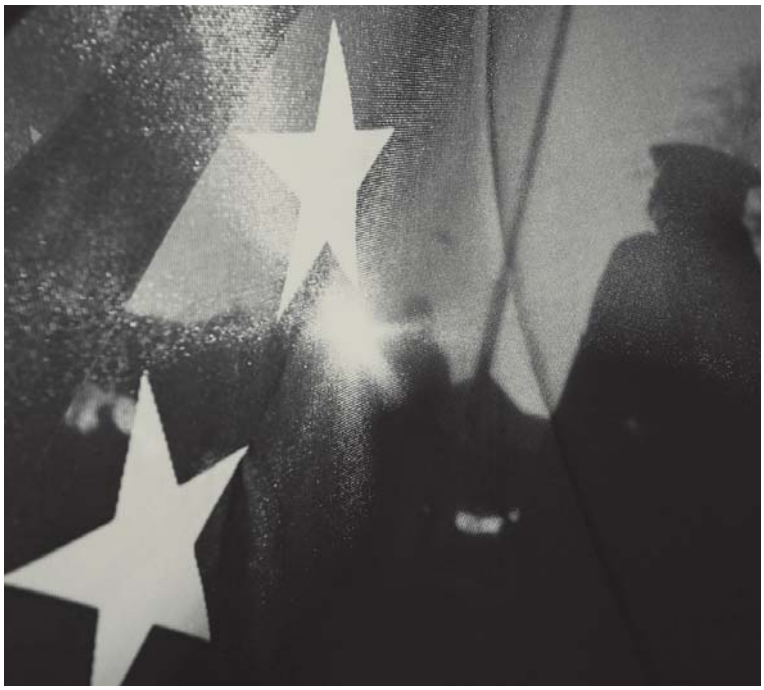

Livre Migration Ftdes.indb 45 10/03/2022 12:51:29

ظهر مفهوم الأمننة أول مرّة في مدرسة كوبنهاغن، وهو يعني تحويل أي موضوع إلى قضيّة أمنية، بحيث يقدّمها الفاعلون على أنّها تهديد لوجودهم ويتقبلها الجمهور.[1] ويؤكد المؤرخ وعالم السياسة الأمريكي، وأحد رواد مدرسة كوبنهاغن باري بوزان Barry Buzan أنّ إضفاء الطابع الأمني على مجال معيّن يتم عبر عملية خطابية لغوية، إذ يعمل هذا الخطاب على الاستدلال بوجود تهديد يمس البقاء المادي والمعنوي لمرجعية أمنية ما، قد تكون الفرد أو الجماعة أو الدولة أو الهوية.[2]

«كما اتسع حقل الدراسات الأمنية بعد الحرب الباردة بفضل بوزان ومقاربته التوسعية: «إذ ميّز بين خمسة قطاعات: عسكري، سياسي، اقتصادي، مجتمعي وبيئي، ما ساهم في إدخال تهديدات أمنية جديدة. حيث أنّ توسيع أجندة الدراسات الأمنية جعل من الهجرة تدخل حيّز الدائرة الأمنية كمسألة أمنية عابرة للحدود وتتعلق بأحد القطاعات الحساسة التي طرحها بوزان وهو قطاع الأمن المجتمعي.[3]» فهذا الأخير مرادف للبقاء الهوياتي، «فهو مرتبط بقدرة المجتمع على الاستمرار، والمحافظة على خصوصيته والإبقاء على جوهره الحقيقي وشخصيته الأساسية ضدّ أي تهديدات محتملة أو فعليّة، وحماية كيان الدولة من الانقسامات الاثنية والطائفية وغيرها بفعل أزمة الهوية، وفي غياب الأمن الاجتماعي يحصل ما يسميه **بوزان «المأزق الأمني المجتمعي»** والذي يرتبط بدوره بقدرة

1 – مشري، (مرسي)، «**أمننة الهجرة غير الشرعية في السياسات الأوروبية: الدوافع والإنعكاسات**»، مجلّة سياسات عربية، العدد 15، تموز/ يوليو، 2015، ص 61– 72، ص 63.

2 – كريم، (يوسف)، «**تحولات الهجرة في منطقة البحر الأبيض المتوسط. حالة المغرب نموذجا**»، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، مارس 2021، ص 27.

3 – حموته، (فاطمة)، «**أمننة الهجرة غير الشرعية في المنطقة المتوسطية: المفهوم والنظرية وقضية الراهن**»، مقال نشر في مجلة جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية، العدد 22، 2019، ص 11. الموقع وتاريخ زيارته: jilrc.com في 30 ديسمبر 2021 على الساعة 14:51.

Livre Migration Ftdes.indb 46 10/03/2022 12:51:30

المجموعة على الاستمرار مع المحافظة على خصوصيتها دون المساس بمكونات هويتها كاللغة والثقافة والدين، وهو ما يعني بالضرورة التمييز بين «نحن» و«هم».[4]» وهذا التمييز تؤسس له النخبة التي يمكنها أن تؤثر في الجمهور، وبهذا المعنى فإنّ نقطة البداية في مفهوم الأمننة هي نظرية الفعل الخطابي، «فالجوهر الأساسي لنظرية الأمننة هو اعتبار الأمن فعلا خطابيا، فبمجرد وسم شيء ما بأنّه مسألة أمنية يجعله كذلك، فقد أشار **أول ويفر OleWaever**[5] إلى ذلك بقوله: «**يمثل شيء ما مشكلة أمنية متى أعلنت النخب أنه كذلك**».[6] « وبذلك فإنّ أمننة الهجرة غير النظامية يعني «تحويلها من قضية إنسانية بسبب فرار الأشخاص من ظروف اقتصادية وسياسية وأمنية صعبة، إلى قضيّة أمنية وتحدّ يهدد الوجود الحضاري والاستقرار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للدول الأوروبية، ما يستوجب اتخاذ تدابير استثنائية ردعية وعقابية لمواجهة هذا التحدّي.[7]»

وتتكون مستويات الأمننة من ثلاثة مستويات وهي:[8]

1) **الفواعل:** يمكن تقسيم هذا المستوى إلى شقين: الشق الأوّل يتمحور حول الفواعل، وهو يضم أولئك الذين يساهمون أو يقاومون مباشرة أو عن طريق الوكالة في تصميم القضايا الأمنية أو ظهورها، (أمننة الفواعل، والجماهير، والفواعل الوظيفية)، أمّا الشق الثاني فيتضمن المواضيع التي تشكّل

4 – كريم، (يوسف)، ص 27.

5 – أستاذ العلاقات الدولية في قسم العلوم السياسية بجامعة كوبنهاغن.

6 – بوستي، (توفيق)، «**أمننة الهجرة غير الشرعية في سياسات الاتحاد الأوروبي**»، المعهد المصري للدراسات، دراسات سياسية، 05 نوفمبر 2021، ص9.

7 – مشري، (مرسي)، ص 64.

Livre Migration Ftdes.indb 47 10/03/2022 12:51:32

العلاقة التي تؤطر الوضعية الأمنية، وهي وضعيات القوّة (العلاقة البديلة) للفواعل، والهويات الشخصية والهويات الاجتماعية التي تكشف سلوك الفواعل، وكذلك الموضوع المرجعي والشخص المعني، أي من يهدد وماذا يهدد؟

2) **الفعل:** ويهتم هذا المستوى بالممارسات استطرادية كانت أو غير استطرادية، والتي تدخل ضمن مسار الأمننة قيد الدراسة، والنتيجة الشاملة تشمل السياسات والطرق التي تخلق الأمن، ويتكون هذا المستوى بدوره من أربعة جوانب:

- نوع الفعل،
- الإستراتيجية،
- مكونات الأمننة،
- السياسات الناجمة عن الأمننة.

3) **السياق:** ذلك أنّ الخطاب الأمني لا ينبع من فراغ بل ينتج عن سياق الحوادث والتهديدات.

8 – بوستي، (توفيق)، ص 11.

وبناء على هذه المستويات الثلاثة، «فإنّ تعامل الإتحاد الأوروبي مع قضية الهجرة غير النظامية مرّ بعدّة مراحل، وذلك عبر إدراجها في إطار التعاون بين الأطراف المتوسطيين، ثمّ التحوّل إلى تسييس هذه القضايا وإبرازها بصفتها أهدافا خاصّة في السياسات العامّة للاتحاد الأوروبي، وذلك بتخصيص الإمكانيات والميزانيات اللازمة لمواجهتها، ثم الوصول إلى المرحلة الأخيرة وهي أمننة هذه القضايا، فهي تعطي الحق للجوء إلى وسائل وإجراءات استثنائية وغير عادية.[9]»

9 – مشري، (مرسي)، ص 64.

Livre Migration Ftdes.indb 48 10/03/2022 12:51:33

أ) في عنصرية السياسة الأوروبية: الهجرة غير النظامية تهدّد الأمن المجتمعي الأوروبي

تستند أغلب السياسات الهجريّة منذ القرن العشرين على مسلّمة تعتبر غير قابلة للتغيير، على أنّ الهجرة هي امتياز وليست حقّا، فهذا النموذج الذي تستند إليه السياسات الهجريّة مبنيّ على الاحتياجات الاقتصاديّة لبعض البلدان، وبالتالي فهي موجّهة أساسا نحو سوق الشغل، وعلاوة على ذلك فهي تستند أيضا إلى مبدأ السيادة الوطنيّة في مسائل السياسات الهجريّة،[10] ففي نظريّة العلوم السياسيّة والوحدة الثقافيّة لبلدان المقصد، تصبح فيها الهجرة الاقتصاديّة عاملا أساسيا، وذلك لأسباب ثقافيّة بحتة، فقد اعترفت كلّ الدول تقريبا بحق كلّ مواطن في التنقّل ومغادرة بلاده، ولكن تظلّ بلدان المقصد خائفة من المهاجرين وذلك قصد تداخل اللغة، الدين، الماضي الاستعماري...فالمهاجرون عموما، وغير النظاميين خصوصا يُشكلون تهديدا للهوية الوطنية الأوروبية لتتحول الهجرة من ظاهرة اقتصادية إلى مسألة أمنية يحللها المهني الأمني «**ديدي بيغو**» بطريقة جيّدة عندما يقول: «**الهجرة مشكلة أمن كبرى بالنسبة لأوروبا، ليست مجرد ملاحظة فقط، بل هي قوّة صيغة مضمون الكلام التي تغيّر المدلول الاجتماعي لمفهوم الهجرة، وتحولها بقوّة المفردات إلى مسألة أمن تحل بوسائل خاصّة.**[11]»

أصبحت الهجرة غير النظامية قضية أمنية وذات أولوية بالنسبة للحكومات الأوروبية خاصّة في سياق تزايد موجات الهجرة غير النظامية بتعلّة أنّ المهاجرين يمثلون تهديدا سافرا

10 -Piché (Victor), Les théories de la migration, Editions Ined, Paris 2013, P 44.

11 – حموته، (فاطمة)، سبق ذكره.

Livre Migration Ftdes.indb 49 10/03/2022 12:51:33

للأمـن المجتمعـي الأوروبـي «عبـر اسـتخدام خطاب عدائـي يربط بيـن المهاجرين ومشـاكل البطالـة والجريمة المنظمة بـكل أنواعها وتجـارة المخـدرات والتهديـدات الإرهابيـة، وهـو مـا دفـع الـدول الأوروبيـة إلـى تعزيز جهودهـا الهادفةإلى أمننة الظاهـرة من خطر المسـاس بالانسـجام الاجتماعـي الأوروبـي وتـآكل الهويـة الوطنية وعدم الاسـتقرار السياسـي والأمني، كمـا تحولت الهجـرة أيضا إلى تحـدٍّ يهدد الأمـن الوظيفـي للأوروبيين.[12]»

ب) الاغتـراب الديموغرافي وفقدان الهويـة الوطنية في المجتمعات الأوروبية

إنّ التدفق المتزايد لعدد المهاجرين، سواء كانوا نظاميين أو غير نظاميين والذين شكّلوا مجتمعا محليّا في موطن الاستقبال، وبتنوّع أعراقهم وأصولهم الجغرافية، وبتزايدهم العددي خاصّة حينما يتزوج العديد منهم بالبقاع الأوروبية وينجبون أبناء، يجعلهم

يرى الأوروبيون أن الهجرة غير النظامية تهدّد الأمن المجتمعي الأوروبي

12 - بوستي، (توفيق)، سبق ذكره، ص 14.

Livre Migration Ftdes.indb 50 10/03/2022 12:51:35

يكونون ضمن فئة مزدوجي الجنسية. كلّها عوامل وتغيرات ديموغرافية وقومية تُشكّل تهديد كيان السكان الأوروبيين الأصليين في نظر السياسة العنصرية الأوروبية. فحسب «معطيات مشروع Clandistino كان عدد المهاجرين غير النظاميين في أوروبا يتراوح بين 1.9 مليون و3.8 مليون مهاجر سنة 2008، وحسب إحصائية الوكالة الأوروبية لمراقبة الحدود بلغ عدد الداخلين إلى إيطاليا بصفة غير نظامية حوالي 56000 سنة 2011 أغلبهم جاؤوا من تونس إذ بلغ ذروة عددهم 14000 تونسي في شهر مارس 2011 وصلوا إلى لمبادوزا، بلغ عددهم من ليبيا 25000 مهاجر غير نظامي من شهر أفريل إلى أوت، ويقيم حوالي 10000 مهاجر غير نظامي تونسي في فرنسا. بالإضافة إلى السياسة الانتقائية التي تعتمد عليها مجتمعات المقصد والمعتمد على انتقاء ذوي الخبرات العالية، وهذا ما يعد من أوّل الآثار الاجتماعية للهجرة غير النظامية.[13]»

كما تؤكد أغلب الدراسات الأمنية الحديثة في أوروبا على أنّ ارتفاع نسبة النمو الديموغرافي التّي تميّز مجتمعات الجنوب يمثّل مصدرا للأخطار المجتمعية، ومصدرا محتملا لعدم الاستقرار، خاصّة أنّ التوزيع السكاني غير متوازن بين ضفتي المتوسط[14]، فجنوبه سيكون أكثر شبابا مقابل شمال أكثر شيخوخة. «فالتوجه نحو الشيخوخة الذي أصبح يميز المجتمعات الأوروبية، قاد الديموغرافي الفرنسي **ألفريد صوفي** إلى «التشاؤم»، لأنّ أوروبا العجوز، حسب اعتقاده، ستكون يوما ما محلّ أطماع القوّة البشرية الهائلة لمجتمعات جنوب المتوسط.[15]»

13 – شوفي، (أسماء)، شوفي، (مريم)، «**الهجرة كمعطى أمني اجتماعي: ضرورة أمننة الهجرة في ظلّ صدام الحضارات**»، مقال نشر في مجلة جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية، العدد 18، 2018، ص 47. الموقع وتاريخ زيارته: jilrc.com في 30 ديسمبر 2021 على الساعة 16:14.

14 – كريم، (يوسف)، ص 16،17.

15 – المرجع السابق، ص 17.

Livre Migration Ftdes.indb 51 10/03/2022 12:51:36

ت) المشكلات السوسيو-اقتصادية

في سياق انخفاض نسب النمو الديموغرافي وشيخوخة بنية الجماعات السكانية الأوروبية، تظلّ القارة الأوروبية بحاجة إلى اليد العاملة التي تساهم في الحفاظ على التوازن، باعتبار أنّ المهاجرين غير النظاميين «يمثلون فرصا للمستخدمين الأوروبيين وللاقتصاد الأوروبي، ورغم اعتبارهم مصدرا للعمالة الرخيصة، غير أنّ الظاهرة تعد مشكلة أساسية وخلل في سوق العمل الأوروبية باعتبارها منافسا قويا لليد العاملة المحليّة، وذلك نتيجة انتشار العمالة العشوائية غير الضرورية التي تتميّز بالإنتاجية المنخفضة، وظهور سوق موازية للعمالة المتسللة التي تقبل بأجور أقل، وهو ما يقود في غالب الأحيان إلى تفشي البطالة في الدول الأوروبية بسبب المهن والوظائف التي يقبلها المهاجرون ويرفضها السكان الأصليون.[16]» وهكذا يتمّ اعتبار الهجرة في الخطابات الحجاجية في السياسة الأوروبية كمصدر أو على الأقل كعامل لتفاقم المشاكل الاجتماعية الرئيسية المعاصرة.[17]

ث) دور الإعلام في أمننة الهجرة

اعتبر العديد من الباحثين الألمان أنّ الهجمات على طالبي اللجوء في مدينتي هويرزوردا **Hoyerswerda** و**روستوك Rostock** الألمانية في مطلع التسعينات لا يمكن فصلها عن المعالجة الإعلامية لمسألة الهجرة والتي أدت على وجه الخصوص خلال هذه الفترة وفقا **لأناستاسيا تسوكالا** إلى تفاقم العداء تجاه المهاجرين إلى درجة أنّ اليمين المتطرف توصل إلى الإعتقاد بأنهم إذا هاجموا الأجانب فسوف يتمتعون بتعاطف جزء

16 - بوستي، (توفيق)، ص 17.

17 - Tsoukala, (Anastassia), Le traitement médiatique de la criminalité étrangère en Europe, Déviance et société, vol 26, 2002, pages 61 à 82. P 61.

Livre Migration Ftdes.indb 52 10/03/2022 12:51:37

كبيـر مـن السـكان الأوروبييـن.[18] وعـلاوة علـى ذلـك فقـد اعترف مسـؤول كبيـر فـي نقابـة الصحفييـن الألمـان بالمسـاهمة غيـر المباشـرة للصحفييـن في زيـادة الاعتـداءات العنصرية فـي ألمانيا وقـد ربـط هـذه الهجمات بوضـوح في عـام 1993 بالموقـف الذي تبنتـه وسـائل الإعـلام فـي هـذا الشـأن.[19] كما اسـتنتجت تسـوكالا أنّ وسـائل الإعـلام فـي فرنسـا وإيطاليـا وألمانيـا واليونـان تجرّم الهجـرة، دون أن تعكـس واقعهـا الحقيقي، بحيث تسـاهم في صنع رأي عـام مناهـض للهجـرة من خـلال ربطهـا بالانحـراف والعنف، فكانـت الصحف تركـز في مقالاتها علـى الجرائـم والمخالفات التي يرتكبهـا المهاجـرون حتـى وإن كانـت تافهة.[20]

كما تختار وسـائل الإعـلام الأوروبيـة عناوين مثيـرة، نذكر من بينهـا ما تكتبـه الصحافة الإيطالية على سـبيل المثـال لا الحصر:[21]

«**اقتحـام السـواحل الإيطالية**»، *(صحيفـة L'Unità الصادرة بتاريخ 1993/03/14)*

«**غـزو اليائسـين**»، *(صحيفـةLa Repubblica الصـادرة بتاريـخ 1997/03/25)*

«**حالـة طـوارئ قصـوى ضـدّ خطـر الغـزو الإجرامـي**»، *(صحيفـة Il Corriere della Sera الصـادرة فـي 1997/03/18)*

كمـا ربطت وسـائل الإعـلام الفرنسـية بيـن الهجـرة والجرائم التـي يرتكبها المهاجرون، والتي تمثل مشـاكل الضاحية الباريسـية أشـهرها... ورغـم الانقسـام الإعلامـي الفرنسـي علـى المسـتوى

18 - Ibid. p 64.

19 Ibid.

20 – مشري، (مرسي)، ص 64.

21 – المرجع السابق، ص 64.

Livre Migration Ftdes.indb 53 10/03/2022 12:51:38

الأيديولوجـي بخاصّـة بين صحيفـة **لوفيغـارو Le Figaro** القريبة مـن اليميـن المتطـرف والجبهـة الوطنيـة وصحيفـة **لومونـد Le Monde** القريبـة مـن اليسـار والوسـط، فـإنّ موقفها مـن الهجرة لـم يكـن مختلفـا، ويظهر هـذا من خـلال عناويـن هـذه الصحف، نذكـر منها:[22]

«**الهجرة غير الشرعية: فرنسا تحت الضغط**»، *(صحيفة لوفيغارو Le Figaro الصـادرة في 2013/12/17)*

«**ضدّ الهجرة غير الشرعية، يجب فرض مشروطية المساعدات للمغرب العربي**»، *(صحيفـة لومونـد Le Monde الصـادرة فـي 2013/10/22).*

كما لـم تقتصر القـراءة الصحفيّـة اليمينية بشـكل خاصّ على الوضـع الآنـي فـي أوروبـا، بل تعمـل على إرسـاء صور مسـتقبليّة تهدد كيـان وهوية الـدول الأوروبية، فقد نشـرت صحيفة **لوفيغارو** مقالا بعنوان «**هل سـنكون فرنسـيين بحلول عـام 2025؟**»، مع عـرض صورة لامـرأة ترتـدي الحجاب.[23] وهـذه المشـهدية والرؤية المسـتقبليّة تكـون أحـد العناويـن البارزة فـي الحمـلات الانتخابية للتيارات اليمينية والشـعبوية.

وهكـذا تعـوّل الحكومـات والـدول الأوروبيـة علـى الوسـائل الإعلامية فـي صوغ السياسـات الهجرية، وتحاول ربـط كلّ الجرائم بالمهاجريـن مـن خـلال الإعـلام، وذلـك لقـدرة هـذا الأخيـر علـى صناعـة رأي عـام وطني تجـاه أي قضيّة. لذلك تسـتخدم الحكومات ورؤوس الأمـوال والسياسـيون الأوروبيـون الوسـائل الإعلاميـة فـي

22 – المرجع السابق، ص 64.

23 – بوسـنان، (سـفيان)، «**الهجرة غير الشـرعية والاتحـاد الأوروبي قـراءة في أمننة الظاهـرة**»، مجلّـة العلـوم السياسـية، العـدد 55، 2018، ص 205، 228، ص 220.

Livre Migration Ftdes.indb 54 10/03/2022 12:51:39

اتجاه يخدم مصالحها، ويصبح الإعلام عاملا أساسيا في صناعة الرأي العام والحجاج من أجل مشروع أمننة الهجرة سواء كانت نظامية أو غير نظامية. وفي هذا الإطار صرّحت إليسا رايElissa Ray المتحدثة باسم لجنة **الاسلاموفوبيا** في فرنسا قائلة: «عبر عشر سنوات كاملة، لاحظنا ارتباطا كاملا وثيقا بين خطاب الكراهية للإسلام والمسلمين سياسيا وإعلاميا وبين أعمال العنف التي تمارس ضدّ المسلمين، ويعني هذا أنّه كلما روجت أجهزة الإعلام والساسّة لهذه الكراهية العنيفة ضدّ المسلمين، كلما شعر المواطنون بأنهم أحرار في ممارسة التمييز والعنف ضدّ المسلمين.[24]» لذلك فإنّ رفع المهاجرين إلى مرتبة التهديد الحقيقي للأمن الداخلي في الدول الأوروبية، يتم في قلب عملية دائرية circulaire ، يغذيها رجال الأعمال والسياسيون والأخلاقيون moraux والمتخصصون في إدارة الأمن والإعلام.[25]

> تقوم نظرية صدام الحضارات على الاختلافات الثقافية الموجودة بين مختلف الشعوب والثقافات، وتزداد حدّة الصدام بين الثقافات عندما يترسّخ في ذهن البعض فكرة سمو ثقافتهم على ثقافة الآخرين.

ج) المشاكل الصحيّة والبيئية

في نظر السياسة الدونية الأوروبية، تُشكّل الهجرة غير النظامية «تهديدا بيئيا من حيث انتقال الأمراض المعدية بسبب عيش المهاجرين في أحياء الضواحي غير اللائقة للحياة، وقد تكون مصدرا لانتشار الأوبئة والأمراض المختلفة مثل الإيدز،

24 - بوستي، (توفيق)، ص 16.

25 - Tsoukala, (Anastassia), op.cit. p 61,62.

Livre Migration Ftdes.indb 55 10/03/2022 12:51:40

الكبد الوبائي... بالإضافة إلى فقدانهم للإمكانيات اللازمة لتحمل تكاليف ونفقات العلاج ومعظمهم خارج مظلّة التأمين الصحي.[26]» كما عمّق كوفيد 19 هذا الجدال واعتبر العديد من النخب الأوروبية أنّ غلق الحدود وخاصّة على المهاجرين غير النظاميين هو أحد الحلول الناجعة لمجابهة الوباء. كما كان هذا بمثابة الفرصة التي انتهزها الإتحاد الأوروبي للمزيد من أمننة الهجرة، فقد اعتبر المركز الدولي لتطوير سياسات الهجرة بأنّ وباء كوفيد 19 أتاح فرصة لتكثيف الدعاية والدفع نحو اعتماد مقاربة «إدارة الهجرة» ومراقبة الحدود وهجرة اليد العاملة.[27]

ح) تأكيد نظرية صدام الحضارات والإسلاموفوبيا وأمننة الهجرة

تقوم نظرية صدام الحضارات على الاختلافات الثقافية الموجودة بين مختلف الشعوب والثقافات، وتزداد حدّة الصدام بين الثقافات عندما تترسّخ في ذهن البعض فكرة سمو ثقافتهم على ثقافة الآخرين.[28] كما أنّ «التقاء المتعصبين من مختلف الحضارات يكرّس هذا الطرح، غير أنّ إضفاء الطابع الأمني على ظاهرة الهجرة على أنّها تأتي بأشخاص من ثقافات دونية مختلفة ويرفضون الاندماج بالمفهوم الغربي، وسّع مفهوم التصادم ليتجاوز الجماعات المتطرفة من الحضارتين، ويشمل باقي أفراد المجتمع فباتت المجتمعات الأوروبية تنظر لصدام الحضارات على أنّه ينتج بفعل شعور مهاجر بالعجز والإحباط في مجتمع لا يتكلم لغته ولا يتفهم ثقافته. بل وأكثر من ذلك يحاول إدماجه بالقوّة من خلال إجباره على اعتناق

26 – بوستي، (توفيق)، ص 18.

27 – فيليب ناصر، (سفيان)، «**فك ترميز المركز الدولي لتطوير سياسات الهجرة. كيف تقوم منظمة في فيينا بالتنسيق والتسيير من أجل نشر نظام مراقبة الحدود التقييدي متعدد الأطراف في تونس وخارجها**»، المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، 2021، ص 12.

28 – شوفي، (أسماء)، شوفي، (مريم).

Livre Migration Ftdes.indb 56 10/03/2022 12:51:41

ثقافة المجتمع المستقبل، فأصبح هذا المفهوم الخاطئ للإدماج الأساس الذي تقوم عليه السياسة الأوروبية للهجرة.[29]»

منذ وصول الرئيس الفرنسي السابق **نيكولا ساركوزي** إلى رئاسة الجمهورية، «أصبحت الإشكاليات المتعلقة بالهجرة والمهاجرين أكثر حضورا، حيث يؤمن أشدّ الإيمان بنظريات «اليمين الجديد» مؤكدا على ضرورة حماية الثقافة الوطنية، ومنعها من الاختلاط بمختلف أشكال الثقافات الأجنبية الأخرى، أو ما يسمى بـ«نظرية الاختلاف».[30] كما كتب الباحث والصحفي الفرنسي **دانيال فيرني** في نفس السياق على صفحات موقع «سلات» الإخباري «عندما يقول لنا وزير الداخلية الفرنسي **كلود غيان** بأنّه وخلافا لليساريين(ومذهبهم النسبوي) الذي يتبنى فكرة أنّ لكل ثقافة قيمها ومعتقداتها التي لا يجب أن تقارن بأخرى، فهو ومن معه من نخبه اليمين الحاكم يؤمن بأنّ الحضارات لا تتساوى.[31]»

كما أنّ زيادة حدّة فكرة الاسلاموفوبيا أو الخوف المرضي وغير المبرر من الإسلام والمسلمين لاسيما بعد أحداث 11 سبتمبر، وبداية ما يسمى بالحرب على الإرهاب عززّت في مسار أمننة الهجرة.

خ) صعود التيارات اليمينية والشعبوية وأمننة الهجرة

بناء على ما تقدّم، يمكن القول إنّ التيارات اليمينية والشعبوية بخاصّة تُقدّم برامجها الانتخابية ومقاربتها الأيديولوجية على حساب المهاجرين، من خلال رفضهم للأجانب والنظر إليهم بنظرة دونية، باعتبارهم يشكلون خطرا على

29 – مشري، (مرسي)، ص 67.
30 – شوفي، (أسماء)، شوفي، (مريم).
31 - مشري، (مرسي)، ص 67.

Livre Migration Ftdes.indb 57 10/03/2022 12:51:42

الهويــة القوميــة الأوروبيــة، ومصــدرا للحــركات الإرهابيــة، ومعوقا اقتصاديــا، ونموذجــا إجراميــا. فازدهــار القــارة الأوروبيــة مرتبط بفنائهــم، وبقائهــم يُشــكّل التهديــد الحقيقــي للكيــان الأوروبي في خطابــات التيــارات اليمينيــة والشــعبوية. وهكــذا صــارت أحــزاب اليميــن المتطرفــة جــزءا من اللعبــة السياســية، صاحبة القــرار في صــوغ السياســات الهجريــة والتــي يجــب عليهــا الإيفــاء بوعودهــا الانتخابيــة حتــى لا تخســر شــرعيتها الجماهيريــة والانتخابية.لذلك «يُعبــر مفهــوم أمننــة الهجــرة عــن التوجهــات السياســية لــدول الإتحــاد الأوروبــي، وعــن النفوذ السياســي الــذي تملكــه المعارضة خاصّــة اليمينيــة المتطرفة، بشــقيها الراديكالية والشــعبوية.[32]» ■

32 - كريم، (يوسف)، ص 26.

Livre Migration Ftdes.indb 58 10/03/2022 12:51:43

الفصل الخامس

إجراءات وسياسات الاتحاد الأوربي لأمننة الهجرة غير النظامية في المنطقة المتوسطية وتونس

Livre Migration Ftdes.indb 59 10/03/2022 12:51:44

عمل الإتحاد الأوروبي على رصد مجموعة من الإجراءات في إطار أمننة الهجرة نذكر منها مثالا لا حصرا:

■ **إنشاء الوكالة الأوروبية لمراقبة الحدود** في 26 أكتوبر 2004 والتي تهدف إلى دعم التعاون من الناحية العملية بين الدول الأوروبية فيما يتعلق بحدودها الخارجية. وبدأت هذه الوكالة وظيفتها رسميا في أكتوبر 2005 وأسست مركزها في «وارسو»، حيث تمثّلت وظيفتها الرسمية في حراسة الحدود خاصّة على سواحل البحر الأبيض المتوسّط.[1]

■ **النظام الأوروبي لمراقبة الحدودEUROSUR** والذي تمّ إنشاؤه في 22 أكتوبر 2013 والهدف منه هو منع الجريمة عبر الحدود والهجرة غير النظامية والمساعدة في حماية أرواح المهاجرين. وبموجب قانون EUROSUR ، لدى كلّ دولة عضو مركز تنسيق وطني NCC يقوم بتنسيق وتبادل المعلومات بين جميع السلطات المسؤولة عن مراقبة الحدود الخارجية ومع المراكز الأخرى Frontex .[2] (الوكالة الأوروبية لحرس الحدود والسواحل).

■ **المركز الدولي لتطوير سياسات الهجرة:** والذي تمّ إنشاؤه في فيينا سنة 1993، والذي انتقل على مرّ السنين من منظمة صغيرة عدديا من حيث الموظفين وماليا أيضا من حيث الميزانية المخصصة له إلى مشروع استشاري ثانوي ومؤقت إلى مزود خدمة هام وأساسي للدول الأوروبية يلعب دورا حيويا في تصدير نظام مراقبة الإتحاد الأوروبي... ومنذ افتتاح المركز لمكتب في تونس سنة 2015، نما تأثيره على التعاون في مجال الهجرة بين تونس والإتحاد الأوروبي بشكل كبير.[3]

1 – بوستي، (توفيق)، ص 19.
2 – المرجع السابق، ص 20.
3 – فيليب ناصر، (سفيان).

Livre Migration Ftdes.indb 60 10/03/2022 12:51:46

■ **سياسات الترحيل القسري**، حيث قام المجلس الأوروبي في أكتوبر 2008 بتبني «الاتفاق الخاص بالهجرة وهو أساس سياسة الهجرة أثناء فترة الرئاسة الفرنسية للاتحاد الأوروبي في النصف الثاني من عام 2008 في ميثاق الهجرة واللجوء الأوروبي، ويفرض الاتفاق غير الملزم رقابة أشدّ على لم شمل أسر المهاجرين ويدعو الإتحاد الأوروبي إلى السعي إلى تبني الطرد ودفع النقود للمهاجرين لكي يعودوا إلى بلدانهم، إلى جانب الدخول في اتفاقيات مع بلدان الأصل لإبعاد المهاجرين غير النظاميين.[4]»

■ **إنشاء مراكز اعتقال المهاجرين غير النظاميين:** عملت دول الاتحاد الأوروبي على إنشاء مراكز اعتقال خاصة بالمهاجرين غير النظاميين الذين يتمّ القبض عليهم على السواحل الأوروبية ومن ثم ترحيلهم إلى بلدانهم الأصلية. وتتسم هذه المراكز بغياب الحدّ الأدنى من المعاملات الإنسانية خاصّة خلال السنوات الأخيرة، مثلما حدث للتونسيين على سبيل المثال في معتقل مليلة الإسباني بين سنوات 2019 و2021، أين تعرضوا حتّى إلى التعنيف من قبل السلطات الإسبانية.

1) في استمرارية الأمننة: التكتل والضغط الأوروبي على تونس سنة 2021

منذ سنة 2020 وبعد تدفق موجات الهجرة غير النظامية التي وصلت إلى 12883 مهاجرا وصلوا إلى إيطاليا، وحادثة نيس الإرهابية في 29 أكتوبر 2020، انطلقت الزيارات السريعة لكلّ من وزير الشؤون الخارجية والتعاون الدولي الإيطالي **لويجي دي مايو**، ووزيرة الداخلية الإيطالية **لوتشيانا لامورجيزي** والسياسية السويدية التي تشتغل منصب المفوض

4 – بوستي، (توفيق)، ص 20.

Livre Migration Ftdes.indb 61 10/03/2022 12:51:47

عملت دول الاتحاد الأوروبي على إنشاء مراكز اعتقال خاصة بالمهاجرين غير النظاميين الذين يتمّ القبض عليهم على السواحل الأوروبية .

الأوروبـي للشـؤون الداخليـة منـذ عـام 2019 **إيفا يوهانسـون**، ووزيـر الداخليـة الفرنسـي **جيرالـد درامنـان** إلى تونـس ليتضّح التكتّـل الأوروبـي علـى تونـس. وهكـذا وجـدت تونس نفسـها في مرمـى الاتحـاد الأوروبـي، وهدفـا لضغوطـات فرنسـية وإيطالية، وقد ربـط العديد من السياسـيين بهذيـن البلدين الهجـرة المغاربية غيـر النظاميـة بخطـر الإرهـاب لتتعالـى الأصـوات المطالبة بسـنّ قوانيـن جديـدة للتضيق علـى الهجـرة والدفاع عن قيـم الجمهورية. بـل صارت هـذه الحادثـة عنوانـا للمبارزة حتّـى بالنبرة السـاخرة، حيـث قـدّم الزعيـم اليمينـي الإيطالي المتطـرف **ماتيو سـالفيني** تصريحـا سـاخرا طلب فيـه الصفح من الشـعب الفرنسـي وضحايا حادثـة نيـس باسـم رئيـس الـوزراء **جيوزيبـي كونتـي** ووزيـرة الداخليـة **لامور جيـزي**. وفي هذا السـياق صرّح كلّ مـن **دارمانان** و**لامـور جيـزي** في ديسـمبر 2020 أنّ إيطاليا وفرنسـا سـتقومان بنشـر وحـدات بحريـة وجوية قبالة السـواحل التونسـية بمسـاعدة السـلطات التونسـية علـى ضبـط حدودهـا. لتزيـد Frontex هـذا التصريـح دعمـا من خـلال إعلانها في نهاية سـنة 2020 عن نشـر طائـرات دون طيّـار في مالطة وصقليـة ولمبـادوزا مهمتها مراقبة هذه السـواحل وتبـادل المعلومـات مع الحـرس البحري التونسـي.

Livre Migration Ftdes.indb 62 10/03/2022 12:51:48

وفي شهر مارس 2021، عادت **لامور جيزي** رفقة **إيفا يوهانسون** إلى تونس، ولكن هذه المرّة اصطحبتا معهما فرق عمل تقنية، وقامتا باجتماعات غير معلنة صحبة المدير العام للأمن آنذاك. وفي ختام الزيارة أعلنت **لامور جيزي** عن فتح «خطّ مباشر» بين تونس وإيطاليا للتواصل المباشر، وتكمن المهام الأساسية لهذا الخط في:

- التعرّف على هويات المهاجرين.
- مسألة التعاون في مجال الترحيل القسري.
- والأهم هو مراقبة الحدود البحرية التونسية.

وبالفعل بدأ الجيش البحري التونسي منذ شهر أفريل بالقيام بعمليات اعتراض في المياه الدولية، وبدأت تظهر نتيجة التنسيق على مستوى التعرف على هويات المهاجرين من خلال الردّ التونسي بشكل سريع، كما تصاعدت عمليات الترحيل القسري وصارت 160 عملية ترحيل في الأسبوع في أواخر سنة 2021 بعد أن كانت 80 عملية في الأسبوع.

2) ما بعد 25 جويلية 2021: «من سيفرمل ظاهرة الهجرة غير النظامية؟»

طيلة سنوات حكمها، لم تصدر حركة النهضة موقفا واضحا وحادّا تجاه السياسات الهجرية الأوروبية، بل كانت هي أيضا حارس مرمى في أيدي الاتحاد الأوروبي. ولكن بعد منعرج الخامس والعشرين من جويلية وضعت حركة النهضة ملف الهجرة غير النظامية في قلب الصراعات السياسية وذلك من خلال تصريح راشد الغنوشي لصحيفة «**كوريار ديلا سيرا**» الإيطالية. ومن أبرز ما جاء في تصريحه هو أنّ تونس إن لم تعد للديمقراطية التمثيليّة فستعيش أوروبا على وقْع طوفان اللاجئين والإرهابيين، حيث ستسود حالة من عدم الإستقرار في تونس تُجبر الناس على الرحيل، متوقعا أنّ أكثر من 500

Livre Migration Ftdes.indb 63 10/03/2022 12:51:49

ألـف مهاجـر محتمل سـيتوجهون إلى السـواحل الإيطاليـة في وقت سـريع. ليـردّ رئيـس الجمهوريـة على رئيـس البرلمان السـابق من ناحيـة وليطمئـن الاتحـاد الأوروبي مـن ناحية أخـرى، حيث صرّح قيس سـعيد فـي غرّة أوت 2021 وذلك بمناسـبة اسـتقبال السـفير الإيطالـي فـي تونـس **لورانـزو فانارا** وتلقّـي تونس مليـون و500 ألـف جرعـة لقاح قدمتها إيطاليا في شـكل مسـاعدات، أنّـه لا مجال للتوظيـف السياسـي لملف الهجـرة غيـر النظامية، وأنّه سـيتصدى لـكل المنـاورات ومحاولات اسـتعمال هذا الملف لأغراض سياسـية، موضحـا الموقـف التونسـي الداعي إلـى معالجة شـاملة ومتضامنة لقضيـة الهجـرة غيـر النظامية والتصـدّي لشـبكات التهريـب والمتاجـرة بالبشـر حتّـى لا يُعاد سـيناريو 2011.

إن هـذه النزاعـات والتصريحات تؤكـد على أن ظاهـرة الهجرة لهـا مكانـة هامـة فـي الشـأن الدولـي والوطنـي، وتؤكـد علـى أنّ هـذا التجـاذب مضمونـه من سـيكون القادر علـى فرملـة التدفقات الهجريـة. فاليمين الديني يؤكد على أنّ إزاحـة الديمقراطية التمثيليّة يُمثّـل خطـرا على الـدول الأوروبيـة، والحـلّ الأنجع هو العـودة إلى المؤسسـة البرلمانية، في حين أنّ الشـعبوية ترسـل مناخ الطمأنينة للـدول الأوروبيـة مـن خـلال وعودهـا للتصـدي لتسـييس ظاهـرة الهجـرة غير النظامية وشـبكات المتاجرة بالبشـر. ولكـن في نهاية سـنة 2021 ورغـم زيـارة **دي مايـو** إلـى تونـس في 28 ديسـمبر 2021، لـم يتـمّ القضـاء علـى شـبكات التهجيـر العابـرة للقارات، وظلّـت عمليات الترحيل القسـري تتسـارع سـواء كانت مـن إيطاليا أو فرنسـا، وعملـت هـذه الأخيـرة خـلال الأشـهر الأخيـرة مـن عام 2021علـى رفـض العديـد مـن التأشـيرات المخصصة لـ«تأشـيرة العـودة[5]» Visa de retour وظـلّ المهاجـرون غيـر النظاميـن

5 – إنّ العديـد مـن المهاجريـن غيـر النظاميين التونسـيين المقيمين في فرنسـا يتزوجون بنسـاء فرنسـيات الجنسـية وذلـك لانتقالهـم مـن وضعيـة غيـر نظامـي إلـى نظامي، والعديـد منهـم بعـد مرحلة الـزواج يعود إلـى تونس بغاية اسـتكمال الإجـراءات الإدراية

Livre Migration Ftdes.indb 64 10/03/2022 12:51:50

يدفعـون ضريبـة الإيقافـات أثنـاء تعرضهـم لعمليـة إحبـاط مـن قبـل السـلطات الأمنيـة البحريـة، وهكـذا نلاحـظ تناقـض رئاسـة الجمهوريـة بيـن التصريحـات والمواقـف، وظلّت تونس فـي نهاية المطـاف «حـارس مرمـى» الاتحـاد الأوروبـي مسـاهمة فـي أمننة الهجـرة. فالفرملـة الحقيقيـة لهذه الظاهـرة تكون عبـر المضامين الاقتصاديـة والاجتماعيـة والديمقراطيـة وليس عن طريـق المقاربة الأمنيـة أو التصريحـات الفضفاضة.

عمومـا ظلّـت تونـس فـي خدمـة مقاربـة أمننـة الهجـرة غير النظاميـة، وظـلّ الاتحاد الأوربي متمسـكا بهـذا البراديغـم ولتعليل هـذا الاسـتنتاج نضـع على ذمّـة القارئ بعـض الجداول والرسـوم التـي توضـح تحليلنا.

جدول عدد 6: توزيع عمليات الاجتياز المحبطة حسب الاشهر

الشهر	البر	البحر
جانفي	76.5%	23.5%
فيفري	30%	70%
مارس	82.1%	17.9%
أفريل	69.7%	30.3%
ماي	68.4%	31.6%
جوان	31%	69%
جويلية	51.9%	48.1%
أوت	25.8%	74.1%

عـن طريـق طلـب تأشـيرة العودة. وفـي العـادة أي مهاجـر يكـون دون سـوابق عدلية كانـت فـي تونس ويثبتهـا من خـلال البطاقة عـدد 3 أو في فرنسـا، ويكـون هناك فرق غيـر كبيـر في السـنّ بينـه وبين زوجتـه ولا يوجـد أي دليـل علـى أنّ زواجه هـو زواج أبيـض ويتحصـل علـى درجـة معينـة تثبـت قدرته علـى ممارسـة اللغة الفرنسـية من قبـل المعهـد الثقافي الفرنسـي وتكـون صحته جيّـدة لا يحمل أمراضا معديـة وخطيرة، يتحصـل علـى تأشـيرة لمـدة سـنة. ولكـن فـي الأشـهر الأخيـرة تـمّ رفـض العديد من الشـباب الذيـن تتوفر فيهـم كلّ الشـروط للحصول علـى تأشـيرة العودة.

Livre Migration Ftdes.indb 65 10/03/2022 12:51:51

سبتمبر	51.64%	48.34%
اكتوبر	46.3%	53.7%
نوفمبر	56.5%	43.5%
ديسمبر	36.5%	63.5%
المجموع	**52.2%**	**47.8%**

جـدول عـدد7 : توزيـع عمليـات الاجتيـاز المحبطة حسـب الجهات خلال شـهر د يسمبر

	مدنين	قابس	صفاقس	المهدية	المنستير
جانفي	*	*	41.1%	17.6%	*
فيفري	3.3%	1.6%	26.6%	25%	6.6%
مارس	*	*	52.2%	12.8%	2.5%
أفريل	3%	*	51.5%	*	9%
ماي	9.45%	*	44.21%	13.68%	11.57%
جوان	11.9%	*	35.71%	11.9%	7.1%
جويلية	10%	1.5%	33%	16.27%	11.62%
اوت	14.15%	1.3%	56.6%	10.9%	2.2%
سبتمبر	4.5%	2.25%	41.1%	14.4%	8.8%
اكتوبر	7.5%	3.7%	28.78%	21.21%	10.6%
نوفمبر	9.4%	1.7%	44.7%	10.5%	8.2%
ديسمبر	6.5%	1.6%	40.9%	13.11%	11.4%
المجموع	**6.6%**	**1%**	**41.3%**	**13.9%**	**7.4%**

	سوسة	نابل	تونس	بنزرت	جندوبة
جانفي	5.8%	11.7%	17.6%	5.8%	*
فيفري	5%	18.3%	13.3%	3.3%	*
مارس	7.6%	20.51%	5.1%	*	*
أفريل	6%	12.12%	15.1%	3%	*
ماي	2.1%	7.21%	8.42%	3.15%	*
جوان	4.7%	21.42%	4.7%	2.4%	*
جويلية	3.1%	13.9%	7.75%	2.32%	*

Livre Migration Ftdes.indb 66 10/03/2022 12:51:52

اوت	1.8%	6.8%	4.5%	1.3%	*
سبتمبر	11.1%	3.3%	11.1%	3.3%	1.1%
اكتوبر	6%	8.3%	9.8%	3.7%	*
نوفمبر	4.7%	15.2%	3.5%	2.4%	*
ديسمبر	3.2%	11.4%	8.1%	3.2%	*
المجموع	**5.1%**	**12.5%**	**9%**	**2.8%**	**0.09%**

* وجود هذه العلامة لا يعني أن هذه الجهات لا تشهد عمليات اجتياز لكن المعطيات الرسمية المنشورة في البلاغات لم تتضمن عمليات اجتياز محبطة في هذه الجهات.

عدد عمليات الاجتياز المحبطة

2021 | **1 784**

2020 | **1 096**

2019 | **273**

عدد المجتازين الذين تمّ إيقافهم

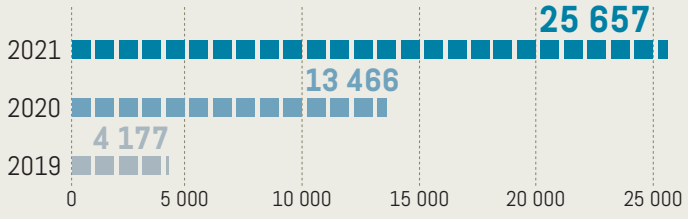

Livre Migration Ftdes.indb 67 10/03/2022 12:51:53

تطوّر عدد الواصلين إلى إيطاليا حسب الأشهر خلال 2021 / 2020 / 2019

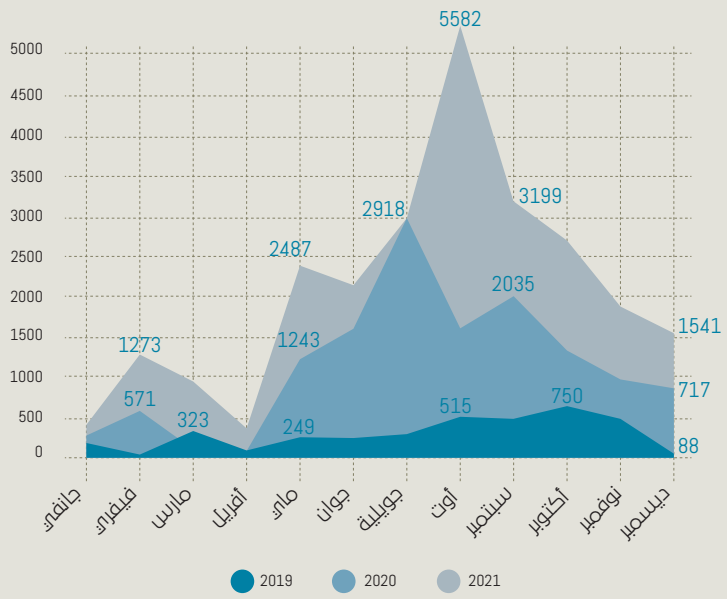

كمـا أنّ المقاربـة الأمنيـة تسـبب مآسـي إنسـانية تتمثـل فـي فقـدان الأرواح البشـرية، لذلـك نقـدم معطيـات كميّـة حـول هـذه السـردية الأليمـة.

Livre Migration Ftdes.indb 68 10/03/2022 12:51:54

جدول عدد8 : مآسي الهجرة غير النظامية على السواحل التونسية

الشهر	عدد الضحايا والمفقودين
جانفي	4
فيفري	50
مارس	39
افريل	41
ماي	81
جوان	39
جويلية	117
اوت	17
سبتمبر	11
اكتوبر	34
نوفمبر	*
ديسمبر	7
المجموع	**440**

Livre Migration Ftdes.indb 69 10/03/2022 12:51:55

Livre Migration Ftdes.indb 70 10/03/2022 12:51:56

الفصل السادس

تونس بلد العبور

Livre Migration Ftdes.indb 71 10/03/2022 12:51:57

إنّ تونس بحكم موقعها الاستراتيجي في سياقها المتوسطي هي بلد عبور وبلد مغادرة ونقطة وصل في منطقة المتوسط، لذلك تُسجّل وزارة الداخلية تقريبا كلّ سنة حوالي ما بين 70 و80 جنسية يدخلون إلى تونس بطريقة غير نظامية.

ويكـون نصيـب الأسـد مـن هـذه الجنسـيات لأصيلـي جنـوب الصحـراء بخاصّـة، هـذه الجنسـيات التي تتخـذ من تونـس معبرا مـن أجـل اسـتكمال الشـوط الأخيـر مـن رحلـة طويلـة تمتـد من غابـات إفريقيـا إلـى صحرائهـا إلـى ثلـج أوروبـا وصقيعهـا، هذا إذا كللـت المغامـرة بالنجـاح طبعـا. ولكـن هـذه الفئـات غالبـا ما تتعـرض إلى معاملات غير إنسـانية هنـا بتونس من قبل السـلطات الأمنيـة أو ربمـا فـي بعـض الأحيـان مـن قِبَـلِ مواطنين تونسـيين حينمـا يتعرضـون إلى سـرقة أو سـلْبهم أموالهم وهواتفهـم بالقوة (بـراكاج) أو مـن خـلال اسـتغلالهم مـن قبل بعـض أربـاب العمل فـي الفضـاءات التجاريـة (المقاهـي، المطاعـم إلـخ) أو اسـتغلال النسـاء كعامـلات فـي المنازل.

كمـا أنّ هـذه الجنسـيات تتعـرض هـي أيضـا في إطـار أمننة الهجـرة إلـى المضايقـات والإحبـاط والإعتـراض، ذلـك أنّ مقاربـة أمننـة الهجـرة لا تعتـرف لا بحـالات اسـتثنائية ولا بحالات إنسـانية أو حقوقيـة، وهـذا الجـدول يوضـح تطور الجنسـيات الأخـرى على غـرار التونسـيين وخاصة منهـم أصيلي جنوب الصحـراء واتخاذهم من تونـس منطقـة عبور.

Livre Migration Ftdes.indb 72 10/03/2022 12:51:59

جدول عدد 9: توزيع المجتازين حسب الجنسيات خلال عام 2021

	تونسيون/ات	غير تونسيين/ات
جانفي	16.8%	83.2%
فيفري	45.1%	54.9%
مارس	46.6%	53.3%
أفريل	46.8%	53.2%
ماي	40.4%	59.6%
جوان	50.2%	49.8%
جويلية	57.62%	42.38%
أوت	71.5%	28.5%
سبتمبر	48.7%	51.2%
أكتوبر	35%	65%
نوفمبر	27.18%	72.81%
ديسمبر	49.2%	50.8%
المجموع	**44.6%**	**55.4%**

Livre Migration Ftdes.indb 73 10/03/2022 12:52:00

Livre Migration Ftdes.indb 74 10/03/2022 12:52:01

خاتمة

إنّ عشرية توالي الأهوال، التي اتسمت باللصوصية والمحسوبية والفساد وتصاعد النزاع وعجز النخب السياسية في الإجابة عن الأسئلة الاجتماعية والاقتصادية للتونسيين والتونسيات في سياق عمّق فيه الوباء الأزمة التي استفحلت في كامل أرجاء البلاد، وارتطمت فيه حركات الاحتجاج باليأس والإحباط، إنّها كلّها عوامل هيأت الأرضية الخصبة لتنامي التفكير في المشاريع الهجرية غير النظامية، لذلك كانت العشرية التي هي استمرارية لفساد الدولة التسلطيّة قبل سنة 2011 هي القادح في تدفق الموجات الهجرية.

Livre Migration Ftdes.indb 75 10/03/2022 12:52:02

إنّ الحالة الإستثنائية التي أعلن عنها رئيس الجمهورية يوم 25 جويلية لم تقدّم سوى تكتيكات مساحيق التجميل التي لا يُمكنها إنتاج تغيّرات راديكالية وعميقة ليظل المتوسط النافذة الأخيرة وملاذ الفقراء والمهمشين.

إنّ براديغم أمننة الهجرة لم يفرمل موجات الهجرة غير النظامية، بل على العكس من ذلك، فقد ساهم في تصاعدها ولم تنتج هذه المقاربة سوى القصص التراجيدية والمآسي الإنسانية.

وفي الختام يُمكن القول إن ظاهرة الهجرة غير النظامية لن تنقطع ما لم تتشكل «الكتلة التاريخية» بالمعنى القرامشي لهذا المفهوم الذي لا يعني قضيّة التحالف الطبقي فقط وإنّما كذلك المشروع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي الذي يحمله هذا التحالف، والذي يكون نقطة انطلاق وبداية تجديد العقد الاجتماعي والديمقراطي ■

Livre Migration Ftdes.indb 76 10/03/2022 12:52:04